

تيسير رب البرية
شرح
المنظومة الحائية

لأبي بكر بن أبي داود السجستاني
المتوفى سنة ٣١٦هـ

تأليف

د . عصام بن عبدربه محمد مشاحيت
دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

قدم له

د . محمود عبد العزيز يوسف أبو المعاطي
أستاذ الفقه المقارن المساعد جامعة أم القرى سابقا
و عضو مكتب الفتوى بوزارة الأوقاف - قطر

٢) عصام عبدربه مشاحيت، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مشاحيت، عصام عبدربه

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية. / عصام عبدربه مشاحيت .-

الرياض، ١٤٣٧هـ

١٨٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩- ٢٤٦٠ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

أ- العنوان

١٤٣٧/١٠٤٠١

١- العقيدة الإسلامية

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع ١٤٣٧/١٠٤٠١

ردمك: ٩- ٢٤٦٠ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

(١)
تقريظ

الحمد لله رب العالمين أحمده حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ويدفع
عنا نقمه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين
وذريته وآل بيته كما صليت ربنا على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .
"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " اللهم يا معلم
داود علمنا و يا مفهم سليمان فهمنا و يا مؤدب محمد صلى الله عليه
وسلم أدبنا .

أما بعد : فقد يسر الله لي قراءة كتاب " تيسير رب البرية شرح
المنظومة الحائية لأبي بكر بن أبي داود " الذي ألفه أخونا فضيلة
الشيخ/ عصام بن عبد ربه مشاحيت ، فألفيته شرحاً مفيداً، مشتملاً على
التأصيل لمنهج أهل السنة والجماعة ، وفي الكتاب فوائد عظيمة، ودفاع
عن عقيدة السلف ، وتوضيح لبعض الحقائق من خير بها، ورغم ضيق
الوقت، وضعف النشاط ، وكثرة الأعمال العلمية، فقد وجدت نفسي
مشدوداً لقراءته، وكلما قرأتُ فيه بحثاً مُعللاً نفسي أن أكتفي به، كلما
ازددتُ مُضيئاً في القراءة حتى أتيت عليه ، فوجدته بحق فريداً في بابه؛

(١) جرت عادة الكتاب والمؤلفين المتقدمين رحمهم الله أن يعرضوا ما كتبوا أو ألفوا على إخوانهم من أهل هذا الفن لما عسى أن يظهر لهم في ذلك ويشهدوا على ما هنالك ويسمون ذلك تقريظاً.

واستفدت أنا شخصياً فوائد جمَّةً وهو من الشروح النافعة المختصرة في شرح هذه المنظومة كما يقول الشيخ عبد الكريم الخضير : " المؤلفات والمصنفات في تقرير عقيدة السلف الصالح قد كثرت وتنوعت، فمنها المطول، ومنها المختصر، ومنها ما كتب بأسانيده، ومنها ما جرد عن الأسانيد، وكتب استنباطاً من النصوص، ومنها المتون المختصرة، ومنها الشروح والحواشي، ومنها ما جاء نظماً، ومنها ما جاء نثراً. فمن المصنفات المختصرة المنظومة هذه الحائية المباركة الجامعة الماتعة النافعة، هذه الحائية محل عناية من أهل العلم منذ تأليفها إلى يومنا هذا". (١)

وإذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل العميم، حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم، فالتوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال، ونعوت الكبرياء والعزة؛ لذا كان علم التوحيد أشرف العلوم موضوعاً ومعلوماً، وكيف لا يكون كذلك وموضوعه رب العالمين، وصفوة خلق الله

(١) راجع : شرح الخضير على المنظومة الحائية لابن أبي داود (١٠ / ١)

أجمعين، ومآل العباد إما إلى جحيم أو إلى نعيم، ولأجل هذا سماه بعض السلف الفقه الأكبر. (١)

وتحقيق التوحيد هو أشرف الأعمال مطلقاً، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: " أي العمل أفضل؟ فقال: " إيمان بالله ورسوله". (٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها، مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً ". (٣) وختاماً أسأل الله تعالى أن يستعملنا في طاعته، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة سنة نبيّه، وأن يصرف عنا شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتبه

د. محمود عبدالعزيز يوسف أبو المعاطي

أستاذ الفقه المقارن المساعد جامعة أم القرى سابقاً

و عضو مكتب الفتوى بوزارة الأوقاف

غرة محرم لعام ١٤٣٦ هجرية- الدوحة - قطر

(١) راجع: الموسوعة العقدية (١/١٢٨).

(٢) متفق عليه .

(٣) راجع: مجموع الفتاوى (١٩/٩٦-٩٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(١) .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٤] [آل

عمران : ١٠٢] .

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] [النساء :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،
وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل
ضلالة في النار .

هذا شرح مختصر لمنظومة الإمام أبي بكر عبدالله بن أبي داود
السجستاني - رحمه الله - في عقيدة أهل السنة والجماعة المشهورة
ب « الحائية » ، ذكر فيها الناظم أكثر ما يتعلق بهذه العقيدة الصافية

(١) من حديث جابر رضي الله عنه قال فيه : إن النبي ﷺ كان يقول ذلك إذا خطب . رواه مسلم والنسائي وغيرهما ، وذلك قبل الخطب كلها ، وبصورة خاصة خطبة الجمعة ، فقد جاء التتصيص عليها عند مسلم في رواية له ، فعلى الخطباء أن يحيوا هذه السنة .

النقية ، فبدأها بالدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدع ، ثم انتقل إلى القول في القرآن الكريم مبيناً عقيدة أهل السنة فيه ، والرد على المخالفين ، وذكر فيها رؤية الرب تعالى وتجليه لعباده المؤمنين يوم القيامة ، وإثبات اليمين واليمين لله تعالى ، والنزول والمجيء ، مع الإشارة إلى أدلة ذلك من السنة ، وذكر نفي الولد والوالد عن الرب سبحانه ، وإثبات القدر ، ثم بين معنى الإيمان وأنه قول وعمل واعتقاد ، ثم ذكر الحوض والميزان وعذاب القبر ونعيمه ، والشفاة ، وفضل الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - ، وذكر من صفات الله تعالى الذاتية صفة اليمين ، ومن الصفات الفعلية صفة النزول. فهذه المنظومة مع اختصارها فإنها كافية شافية ، فجزى الله الناظم خير الجزاء .

وقد سميت هذا الشرح « **تيسر رب البرية شرح المنظومة الحائية** »
فما كان فيه من صواب فإنما هو محض توفيق الله ، وما كان فيه من تقصير أو نسيان في بعض جوانبه فالله أسأل أن يتجاوز عن تقصيري هذا ، إنه جواد كريم وحسبي أني أردت الحق باذلاً في ذلك ما وفق الله به من جهد ، والله أسأل أن ينفع به إخواني .. آمين .

وكتبه

أبو محمد عصام بن عبدربه محمد مشاحيت

الرياض فجر يوم الجمعة

الموافق الرابع من شهر شعبان عام ١٤٣١ هـ

متن المنظومة الحائية

قال الناظم - رحمه الله - :

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
وَقَلَّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامَ مَلِكِنَا
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَانِلًا
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنَ خَلْقًا قِرَاءَةً
وَقَلَّ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً
وَأَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ
وَقَلَّ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
يَقُولُ : أَلَا مُسْتَعْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا
رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
وَقَلَّ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
وَلَا تَكُ بِدُعِيًّا لَعَاكَ تُفْلِحُ
أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ
بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجَمٍ وَأَسْجَحُوا
فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضِحُ
كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَأَلَيْسَ لَهُ شِبْهَةٌ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ
بِمُصَدِّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ
وَكَلَّمْنَا يَدِيهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ
بِلا كَيْفِ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
فَتَفَرَّجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَاْمُنْحُ
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا
وَزِيرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ
عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

وَإِنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ
 سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزَّيْبُرُ الْمَمْدَحُ
 وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
 فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٍ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
 وَبِالْقَدْرِ الْمُقْدُورِ أَيْقُنْ فَاتَهُ دَعَامَةَ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينِ أَفِيحُ
 وَلَا تُنْكِرُنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَانِهِ كَحَبَّةِ حَمَلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
 وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ
 وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلَّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
 وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالَ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًا لِعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرَحُ
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفَعَلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
 وَدَعُ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
 وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ تَقْدَحُ
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيثٍ وَتُصْبِحُ

ترجمة صاحب المنظومة الحائية

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

*** اسمه ، ونسبه ، وكنيته :**

هو أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ، المعروف بـ « ابن أبي داود » .

*** مولده ونشأته :**

وُلد بإقليم سجستان سنة ثلاثين ومئتين من الهجرة ، سافر به أبوه من سجستان فطوّف به شرقاً وغرباً بخراسان ، وأصبهان ، ونيسابور ، والبصرة، وبغداد ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، والشام ، ومصر ، والجزيرة، والثغور ، واستوطن بغداد .

وكان ذا همة عالية منذ صغره في التحصيل والطلب ، ومن دلائل هذه الهمة قوله – رحمه الله – : « دخلت الكوفة ومعى درهم واحد، فاشتريت به ثلاثين مد باقلاء، فكنت أكل منه مداً ، وأكتب عن أبي سعيد وعثمان ألف حديث ، فلما كان الشهر حصل معى ثلاثون ألف حديث، ما بين منقطع ومرسل» .

وكان – رحمه الله – حافظاً متقناً ، فقد ثبت عنه أنه قال : « حدثت من حفظي في أصبهان بستة وثلاثين ألف حديث ، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث ، فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به » .

*** مشايخه :**

كان من أشياخه : أحمد بن الأزهر النيسابوري ، وإسحاق بن إبراهيم النهشلي ، وإسحاق بن منصور الكوسج ، وأبو داود سليمان بن معبد السنجي ، وسلمة بن شبيب ، وعلي بن خشرم المروزي ، وعمرو بن علي البصري ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، ومحمد بن بشار ، وعمرو بن عثمان الحمصي ، ونصر بن علي البصري، ويسوف بن موسى القطان، وأحمد بن صالح ، وغيرهم الكثير .

*** بعض تلاميذه :**

حدث عنه خلق كثيرون منهم : أبو أحمد الحاكم ، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ ، وأبو بكر الشافعي ، وأبو بكر محمد بن المظفر الوراق ، وأبو الحسين بن سمعون ، وأبو حفص عمر بن شاهين، والإمام الدار قطني، وعبدالرحمن بن أبي حاتم ، وأبو عمر بن حيوية ، وعبدالباقي بن قانع ، وأبو عبدالله بن بطة ، وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب ، وعيسى بن الوزير، وأبو القاسم بن حبابة ، وغيرهم الكثير .

*** عقيدته :**

كان أبوبكر ابن أبي داود السجستاني من أئمة أهل السنة والجماعة ، المتبعين للكتاب والسنة ، وليس أدلّ على ذلك من منظومته الحائية هذه، وهي منظومة عظيمة في تقرير المعتقد الحق الذي كان عليه سلف الأمة ﷺ ، فالناظم - رحمه الله - حنبلي المذهب ، ترجم له الحنابلة في

طبقاتهم ، ومنهم : ابن أبي يعلى ، وابن مفلح ، والعلمي ، وعده بعض الشافعية منهم ، وترجموا له في طبقاتهم ، كما فعل ابن السبكي ، والمشهور أنه حنبلي المذهب .

* مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

قال أبو حفص عمر بن شاهين – وهو من تلاميذه - : « أملى علينا ابن أبي داود سنتين ، وما رأيت بيده كتاباً ، إنما كان يملئ حفظاً ، فكان يقعد على المنبر بعد ما كبر ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر ، بيده كتاب فيقول حديث كذا ، فيسرده من حفظه ، حتى يأتي على المجلس » .

وقال الخطيب البغدادي : « كان فقيهاً عالماً حافظاً » .

وقال أبو عبدالرحمن السلمي : « سألت الدار قطني عن أبي بكر بن أبي داود ، فقال : ثقة » .

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة : « كان فهماً عالماً حافظاً » .

وقال ابن خلكان : « كان أبوبكر ابن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد ، عالماً متفهماً عليه إماماً » .

وقال الذهبي – رحمه الله - : « والرجل من كبار علماء المسلمين ومن أوثق الحفاظ » .

* مؤلفاته :

كتاب المسند ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، والتفسير ، والقراءات ، والمصابيح ، وفي الحديث ، وكتاب نظم القرآن ، وكتاب فضائل القرآن

، وكتاب شريعة التفسير ، وكتاب شريعة المقارئ ، وكتاب البعث والنشور ، وكتاب السنن .

*** وفاته :**

توفي - رحمه الله - سنة ست عشرة وثلاثمائة في شهر ذي الحجة عن سبعة وثمانين عاماً ، وخلف ثمانية أولاد (ثلاثة بنين وخمس بنات).
رحمه الله تعالى ، وغفر له ولجميع أئمة المسلمين .

* * *

التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة البدع

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ
وَدِنُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحَ

بدأ الناظم - رحمه الله - منظومته بهذين البيتين العظيمين ، يدعو من خلالهما إلى الاعتصام بالكتاب وما صح من سنة النبي ﷺ والتحذير من البدع المستحدثة في دين الله ﷻ، وهو بذلك يبين مصدر التلقي لأهل السنة والجماعة هما : الكتاب والسنة ، وقد وردت الأدلة من الكتاب وصحيح السنة على وجوب التمسك بهذين الأصلين^(١) ، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]،
وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي اتبعوا كتابه ،
﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي خذوا سنته ، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي : فيما أمروكم به

(١) هناك أصل ثالث : وهو إجماع علماء الأمة ، واختلف العلماء في أصول أخرى أهمها القياس ، وجمهور أهل العلم على أنه حجة إذا استوفى شروطه المعتمدة .

من طاعة الله لا في معصية الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقوله : ﴿ فَإِن نَنزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ قال مجاهد : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يردوا التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٠] ، فما حكم به الكتاب والسنة وشهد له بالصحة فهو الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي : ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة ... »^(١) .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التمسك بالقرآن الكريم وما صح من سنة النبي الأمين ﷺ .

وأما الأدلة من السنة : ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إِن اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ**

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، الطبعة الأولى ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢١ هـ .

جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، و يسخط لكم ثلاث : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» (١) .

وثبت عنه ﷺ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، قلنا : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : **« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» (٢)** .

وثبت عنه ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟**

(١) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق ، ط. الأولى / ١٤٢١هـ ، حديث رقم ١٨٤ ، ورواه مسلم - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، و النهي عن منع وهات وهو الامتناع عن أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه / ١٧١٥ ، وصحيح ابن حبان - ذكر الزجر عن فتح المرء على نفسه باب المسألة بعد أن أغناه الله جل وعلا عنها / ٣٣٨٨ ، وذكر الأخبار عما يجب على المرء من مجانبة الكلام وتضييع المال / ٥٧١٩ .
(٢) صحيح ابن حبان - ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ / ٥ ، ابن ماجة ، باب التغليب في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ حديث ٤٢ ، ٤٣ ، الترمذي - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع / ٢٦٧٦ ، وأبوداود - باب لزوم السنة / ٤٦٠٧ ، ومسنند أحمد ١٧١٨٢ .

قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »^(١) .

وغير ذلك مما صح عن رسول الله ﷺ .

فالناظم رحمه الله تعالى – اقتداء بكتب أهل السنة بدأ بتحديد المصدر قبل بسط الاعتقاد ، فقال رحمه الله تعالى :

« **تمسك بحبل الله واتبع الهدى** » فالتمسك معناه الأخذ بالشيء والاعتصام به ، وقيل : هو القبض بقوة وبشدة .

« **حبل الله** » قيل : إنه القرآن الكريم ، وقيل : هو دين الله وشرعه ؛ لأن القرآن الكريم ودين الله الإسلام هما الصلة التي تربط المسلم بربه .

ومراد الناظم هنا القرآن الكريم ؛ لأنه ذكر السنة بعده فقال : « **واتبع الهدى** » أي : السنة . فهو يخاطبك أيها المسلم قائلاً : تمسك بالقرآن الكريم دائماً وأبداً ، ومع تمسكك بالقرآن الكريم الزم سنة النبي الأمين ، واقتني آثاره ﷺ .

والهدى يُطلق في القرآن والسنة على أمرين :

١ - هداية التوفيق ، وهذه لا تكون إلا لله وحده .

٢ - هداية الدلالة والإرشاد .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ**

(١) البخاري – باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : (**وَأَجْعَلْنَا**

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) / ٦٨٥١ ، صحيح ابن حبان – ذكر إيجاب الجنة لمن أطاع الله ورسوله فيما أمر ونهى / ١٧ ، وأحمد / ٨٧١٣ .

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ [القصص : ٥٦] هذه هي هداية التوفيق .

أما قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] فهذه هداية الدلالة والإرشاد ، وهذه تكون للأنبياء والصالحين والعلماء ، ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٥٤] .

فالزم أخي الحبيب طريق الهدى والرشاد الذي دلّ عليه وبينه رسول الله ﷺ ففيه الفلاح والنجاة في الدنيا .

« ولا تك بدعياً لعلك تفلح » :

بعد أن حثّ في الشطر الأول من البيت على التمسك بالقرآن والسنة ، حذر من مخالفتها ، فقال : ولا تك بدعياً أي بمخالفتك للقرآن والسنة . حيث إن البدعة خلاف السنة ، فاحذر أن تكون صاحب بدعة أو متبعاً لأصحاب البدع ، وقد حذر منها النبي ﷺ بقوله : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »^(١) .

* تعريف البدعة لغة وشرعاً :

البدعة لغة : هي الشيء المخترع على غير مثال سابق ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩] ، ومنه قول عمر

(١) سبق تخريجه .

بن الخطاب رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه ^(١) .

البدعة شرعاً : قال الشاطبي - رحمه الله - : « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى ^(٢) .

وقال أيضاً : « البدعة المذمومة هي التي خالفت ما وضع الشارع من الأفعال أو التروك ^(٣) .

فكن أخي الحبيب متبعا لا مبتدعا ، فكل بدعة في دين الله ضلالة ، وكل عمل ليس عليه أمر الله ورسوله فإنه مردود على صاحبه .

ثبت عنه رضي الله عنه من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »** ^(٤)

فكل عمل لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً فهو بدعة مستحدثة في دين الله عز وجل .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كُفيتُم ^(٥) أي :

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، باب فضل من قام رمضان / ١٩٠٦ ، موطأ مالك - باب ما جاء في قيام رمضان / ٢٥٠ .

(٢) الاعتصام للشاطبي ٣٧/١ .

(٣) الموافقات للشاطبي ٢٥٤/٢ .

(٤) أخرجه البخاري باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٥٥٠) ، و مسلم (١٧١٨) باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور ، وفي رواية لمسلم : **« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »** .

(٥) أخرجه الدارمي (٢١١) ، والطبراني في الكبير (٨٨٧٠) ، مجمع الزوائد ، باب الاقتداء بالسلف ١٨١/١ .

كُفَيْتُمْ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي - رحمه الله - : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول^(١) .

فقول الأوزاعي - رحمه الله - : عليك بآثار من سلف أي : الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ؛ لأنها مبنية على الكتاب والسنة .
« وإن رفضك الناس » أي : أبعذك واجتنبوك .

وقوله : « وإياك وآراء الرجال » أي : احذر آراء الرجال وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقوله : « وإن زخرفوه » أي : جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه^(٢) .

وقول الناظم - رحمه الله - « **لعلك تفلح** » فهذه ثمرة التمسك بكتاب الله وما صح عن رسول الله ﷺ ، واجتناب البدع المستحدثة في دين الله عز وجل .

فمن تمسك بالكتاب والسنة ، واجتنب البدع فقد فاز بخيري الدنيا

(١) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ٧ ، والآجري في الشريعة ص ٥٨ ، وأورده الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢٠/٧ .

(٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي شرح فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ص ٤٤ ، أضواء السلف / الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

والآخرة .

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة ألا نجزم لأحد بفلاح إلا من شهد له رسول الله ﷺ ، أو جاء في القرآن أنه من أهل الفلاح ، ولكن نرجو للمحسن الفلاح ، ونخاف على المسيء من عقاب الله .

ثم قال الناظم – رحمه الله - :

« **وَدِينُ بَكْتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي** **أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْجَحُ** »

هذا البيت قريب من البيت الأول .

فقوله : « **وَدِينُ بَكْتَابِ اللَّهِ** » أي : آمن بكتاب الله وتمسك به وكن من أهله، فهو حبل الله المتين ، والصراط المستقيم ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم .

فلا بد من الإيمان به ، والعمل بما جاء فيه من الأوامر واجتناب النواهي والزواجر حتى لا تكون من الهاجرين لكتاب الله عز وجل .

قال تعالى : « **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** »

[الفرقان : ٣٠] وهجر القرآن أنواع ، منها على سبيل الذكر لا الحصر: هجر سماعه وقراءته ، وهجر العلم به والوقوف عند حلاله وحرامه، وهجر تحكيمه و التحاكم إليه ، وهجر تدبره وتفهمه ، وهجر الاستشفاء به وغير ذلك مما ذكره أهل العلم من أنواع هجر القرآن الكريم .

هكذا قال الناظم – رحمه الله - : « **وَدِينُ بَكْتَابِ اللَّهِ** » ثم قال:

«السنن التي أتت عن رسول الله ﷺ» .

والسنن^(١) يراد بها الأحاديث النبوية الثابتة عنه ﷺ ، فقله : « أتت عن رسول الله ﷺ » هذا يبين أن السنن لا بد أن تصحّ حتى يُؤخذ بها ، فإن صحت السنة فهي حجة يجب العمل بها في أمور الدين كلها من عقيدة صحيحة وعبادة مشروعة وأخلاق فاضلة .

وسبق أن ذكرت بعضاً من الأدلة من الكتاب والسنة التي تبين لنا وجوب العمل بسنة النبي ﷺ حيث إنها وحي أيضاً ، فهي قرينة القرآن الكريم ، فهي المفسرة له ، والمبينة لما أجمل فيه ، فلولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها، قال ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلي »^(٢) ، وكذلك لولا السنة لم يعرف المسلمون تفصيل أحكام الصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات وما أوجب الله بها من حدود وعقوبات .

وهذه الأدلة التي ذكرتها سابقاً وغيرها من القرآن والسنة تبين منزلة السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي .

(١) والسنن جمع سنة وهي الطريقة التي كان عليها الرسول ﷺ وعند المحدثين هي ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية .
(٢) البخاري باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة (٦٠٥) ، باب رحمة الله الناس والبهائم (٥٦٦٢) ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام (٦٨١٩) ، صحيح ابن حبان، باب الأذان (١٦٥٨) ، ذكر البيان بأن قوله ﷺ « فأذننا وأقيما » أراد به أحدهما (٢١٣١) .

ولا عبرة بقول هؤلاء الذين يُعرضون عن السنة ، فقد حذر منهم النبي ﷺ فقال : **« ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يُحدّث بحديث من حديثي ، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيها من حلال استحلتناه ، وما وجدناه فيه من حرام حرماناه ، ألا وإن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله »** (١) .

ثم قال الناظم – رحمه الله – : **« تنجو وتربح »** أي : تنجو من كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة ، وهذه ثمرة الإيمان والتمسك بالقرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ ؛ النجاة من البدع والانحراف في الدنيا ، والنجاة من عذاب الله في الآخرة ، وهذا هو الفوز الكبير .

* * *

(١) أبوداود باب في لزوم السنة (٤٦٠٤) ، والترمذي ، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤) ، وابن ماجه باب تعظيم حديث رسول ﷺ والتخليط على من عارضه (١٢) ، وأحمد (١٧٢٣٣) ، وابن حبان ، ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه (١٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٣٢/٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (٦٧٠) ، وصحيح الجامع (٢٦٤٣) .

عقيدة السلف في كلام الله والرد على المخالفين

قال الناظم - رحمه الله - :

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامِ مَلِكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَانِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْهَمٍ وَأَسْجَحُوا
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنَ خَلْقًا قِرَاءَةً فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضِحُ

بعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - في مطلع منظومته في البيتين الأولين منها التمسك بالكتاب والسنة ، ووجوب التمسك بهما ، ذكر في هذه الأبيات عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن ، والرد على المخالفين لهذه العقيدة (عقيدة أهل السنة) .

فالقرآن كلام الله عز وجل ، وكلامه صفة من صفاته سبحانه وتعالى ، تكلم به حقيقة ، وأنزله على رسوله ﷺ ، وليس بمخلوق كما يقول أهل البدع ، وليس معنى قائماً بالنفس ؛ بل هو كلام الله تكلم به بحرف وصوت يُسمع ، سمعه جبريل عليه السلام ، وكلم الله عز وجل رسوله محمد ﷺ ليلة المعراج ، وسمع موسى كلام الله ؛ هذا هو الحق الذي عليه أهل السنة تشهد له الأدلة والنصوص ، وتشهد له العقول السليمة والفطر المستقيمة .

فقول الناظم - رحمه الله - : « **وقل غير مخلوق كلام ملكنا** »

فالخطاب هنا للتمسك بالكتاب والسنة ، أي : قل معتقداً مؤمناً غير شاك

ولا متردد في أن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به حقيقة ، منه بدأ وإليه يعود .

وقد اهتم سلفنا الصالح – رحمهم الله – بالقرآن وأنه كلام الله، حيث إن الناس تنازعوا في هذه المسألة على مذاهب شتى ، من أبرز هذه المذاهب : ثمانية ، سبعة مذاهب باطلة ، والمذهب الثامن هو الحق .

المذهب الأول : مذهب الاتحادية :

وهؤلاء يقولون بوحدة الوجود ، وأن الوجود واحد ، ومذهبهم في كلام الله : أنه كل ما يسمع في الوجود سواء كان حقاً وصدقاً ، أو باطلاً وكذباً ، وزوراً وبهتاناً ، وسواء كان كلام الأعجمين ، أو أصوات الحيوانات والطيور ، فكله كلام الله ، نعوذ بالله من ذلك .

فهؤلاء الاتحادية أكفر خلق الله ، يظهرن الإسلام ويبطنون الكفر . فيعتقدون أن الله عين المخلوقات ، فالخالق هو المخلوق ، وكل ما تروه هو الرب ، وقالوا : إن كل كلام في الوجود هو كلام الله ، سواء أكان هذا الكلام حسناً أو قبيحاً ، وسواء أكان هذا الكلام كفراً أو إيماناً ، وكل اسم فهو له ، سواء أكان حسناً أو قبيحاً ، وكل صفة سواء كانت صفة نقص أو صفة كمال فهي لله ؛ وهذا كفر شديد ، نعوذ بالله من الكفر والخذلان .

فاحذر – أخي الحبيب – هذا المذهب الخبيث حيث له فروع غير ما ذكرته هنا ذكرها زعيمهم ابن عربي الطائي رئيس وحدة الوجود في

كتابه «الفتوحات المكية» فكن أخي الحبيب على حذر من هذا المذهب الكفري^(١).

المذهب الثاني : مذهب الفلاسفة وأتباعهم^(٢) :

مذهب هؤلاء الفلاسفة في كلام الله ﷻ : أنه فيضٌ فاض من العقل الفعّال على النفس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها فحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلت منه ، فكلام الله ليس حرفاً ولا صوتاً ، ولكنه معانٍ تفيض على النفوس الفاضلة الزكية ، ويحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته من هذا الفيض .

وهذا المذهب في الكلام مبني على مذهبهم في القول بقدم العالم ، وأن العالم لازم لله أزلاً وأبداً ؛ كلزوم الضوء للسراج . فلا يقولون : إن العالم حادث، بل يقولون : إن العالم قديم كقدم الله ، وهذا المعنى إنكار لوجود الله ، وأنه واجب الوجود بذاته ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، فبنوا على هذا الأصل ، وهو القول بقدم العالم ؛ أن الكلام معنى يفيض على النفس الفاضلة الزكية فيحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلت منه .

وحقيقة هذا المذهب : الكفر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم

(١) الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي - حفظه الله - ، دار التوحيد للنشر - الرياض - الجزء الأول (ص ١٥٥-١٥٧) بتصرف بسيط - الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ .

(٢) مستفاد من المرجع السابق ص ١٦٠ .

الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبالبعث والنشور ، وبالجنة والنار ، فهم كفره ملاحدة لم يؤمنوا برسله ؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بالحق ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء ، وأنه الغني بذاته ، الذي لا يحتاج إلى أحد ، وأن له الكمال في أسمائه وصفاته .

وهم يلتقون مع الاتحادية الذين يقولون : الوجود واحد ، والعبد هو الرب ، والرب هو العبد ، وهؤلاء الفلاسفة يقولون: إن العالم قديم ولازم للرب ، ولم يثبتوا رباً غنياً خالقاً قادراً بمشيئته ، وقالوا: إن الرب هو أول هذا العالم ، وهو المحرك له ، وهو العلة الغائية لحركته ، فهم بهذا يلتقون مع الاتحادية في الكفر والزندقة ، نسأل الله السلامة والعافية (١) .

المذهب الثالث : مذهب السالمية (٢) :

وهم أتباع محمد بن أحمد بن سالم ، أبي عبدالله ، وتبعهم بعض أتباع الأئمة الأربعة أو بعض من ينتسب للحديث ، وذهبوا إلى أن كلام الله ألفاظ ومعاني وحروف وأصوات قديمة في الأزل لم تنزل ولا تزال ، ولا يقولون إن الكلام متعلق بقدرة الله ومشيئته ، وما دامت الألفاظ قديمة ؛ فالحروف التي تولف هذه الأصوات قديمة ، وما دامت المعاني قديمة ؛ فالحروف التي تتألف من هذه الألفاظ قديمة .

(١) المرجع السابق ١٦٠/١-١٦١ بتصرف بسيط .
 (٢) هم أتباع محمد بن أحمد بن سالم المتوفى ٢٩٧ هـ ، وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، ومن أشهر رجال السالمية أبو طالب المكي صاحب كتاب «قوت القلوب» المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ويجمع السالمية في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية .

وهم يقولون : إن كلام الله نوعان :

١/ نوع يُسمَع بواسطة .

٢/ ونوع يُسمع بغير واسطة .

كما سمع محمد ﷺ كلام الله بواسطة جبرائيل ، لكن الكلام وإن كان لفظاً ومعنى ، وإن كان بحرف وصوت إلا أنه قديم لم يزل ولا يزال ، ولا يزال الرب يتكلم في القدم والأزل ، وكلمات الرب مقترنة لا يسبق بعضها بعضاً ؛ فالباء مع السين مع الميم كلها يتكلم بها الرب دفعة واحدة ؛ هكذا يقولون .

وقالوا : إن الحروف إنما تُسمع متعاقبة بالنسبة لسمع الإنسان ؛ وإلا فالحروف مقترنة ، وشبهتهم في ذلك مبنية على أن الكلام – عندهم – لا بد أن يقوم بمتكلم ، وأن الرب ليس محلاً للحوادث ؛ قالوا : فلو قلنا : إن كلام الرب متعلق بقدرته ومشيئته ؛ لصار محلاً للحوادث ؛ بل يقولون : إن الكلام قديم في الأزل لم يزل ولا يزال ، فمتى شاء تكلم بالحروف مقترنة .

ولهذا يسمونهم بـ « الاقترانية » نسبة إلى الاقتران الذي ذكروا في الحروف ، وأن الرب يتكلم بها دفعة واحدة ، فقالوا : لو قلنا : إن الحروف متعاقبة ؛ للزم من ذلك : أن يحدث الحرف الثاني في ذات الرب ، فيكون ذلك محلاً للحوادث ، وهذا مذهب باطل .

وقولهم : إن الكلام ألفاظ ومعاني وحروف وأصوات قائمة بذات

الرب ؛ فهذا حق ، لكن قولهم : إنه لا يتعلق بقدرته ومشيئته ، فهذا باطل ، فالرب لم يزل يتكلم ، وكلامه قديم لكن ألفاظه لم تزل حادثة متعلقة بمشيئة ؛ فهو يكلم جبريل ، ويكلم الملائكة ، ويكلم الأنبياء ، ويكلم الناس يوم القيامة ، فالقول بأنه لا يتعلق بقدرته ومشيئته ، تعطيل للرب من الكمال وتنقص له - سبحانه - .

وكذلك قولهم : إن الحروف مقترنة ، وأنه لا يسبق بعضها بعضاً ، وأنها غير متعاقبة ؛ هو تخليط وهذيان غير متصور ، ومخالف للحس ، وليس معلوماً بالفطرة ؛ لأن الكلمة إذا كانت مكونة من حرفين ؛ فلا يمكن للمتكلم أن يتكلم بالحرف الثاني إلا بعد الأول ، ولا وجود للكلمة إلا بالتعاقب ، وقولهم : إنه يلزم من ذلك أن تحدث الحروف في ذات الرب ، فهذا باطل ؛ لأن هذا يلزم بالنسبة للمخلوق ، أما الخالق فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين ؛ لأن الرب لا يشابه المخلوقين لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله - سبحانه - (١) .

المذهب الرابع : مذهب الكلابية (٢) :

وهم أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب ، ويرون أن كلام الرب معنى قائم بنفس الرب ليس بحرف ولا صوت ، ولا يمكن أن يُسمع ، وهو لازم لذاته كلزوم السمع والبصر والعلم والحياة ، وهو أربعة معانٍ في

(١) المرجع السابق ١٦٢/١-١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ١٦٤/١-١٦٥ .

نفسه : الأمر والنهي والخبر والاستفهام .

وأما الحروف والأصوات : فهذه حكاية دالة على كلام الله وليست كلام الله، فليس في المصحف كلام يزعمهم ، بل ما فيه إنما هو حروف وكلمات دالة على كلام الله، ليست هي كلام الله ، فكلامه في نفسه لا يسمع ، والحروف والأصوات حكاية دالة عليه، وهذا المذهب مبني على أن الكلام لا بد من أن يقوم بالمتكلم ، وعلى هذا : فإن الله ليس محلاً للحوادث ؛ لأنه لو كان حرفاً وصوتاً ؛ لكان محلاً للحوادث كما قالوا : ليس بحرف ولا صوت، وإنما هي حكاية دالة عليه .

يقول الشيخ عبدالعزيز الراجحي – حفظه الله – في شرحه للعقيدة الطحاوية : « ولمناقشة هؤلاء الكلابية نقول :

أولاً : أنتم تقولون : إن الحروف والأصوات حكاية من كلام الله ، فحكاية الشيء إنما تكون بالإتيان بمثل الشيء ؛ من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ؛ تقولُ : حكيت الحديث بعينه ؛ تريد أن الرواية مطابقة للحديث من غير زيادة ولا نقص ، والحروف والأصوات ليست مطابقة للمعنى القائم بنفس الرب فكيف يقال: إنها حكاية لكلام الله !؟

ثانياً : لو كانت الحروف والأصوات حكاية عن كلام الرب كما تزعمون ؛ فلزم من ذلك أن تكون صفات الله محكية ، وله مثل وشبيهه ، والله ليس له مثل ولا شبيهه .

ثالثاً : لو كانت الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله ؛ لأتى الناس بكلام مثل كلام الله وحينئذ أين عجزهم عن الإتيان بمثله ؟ وقد قال

تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وقال أيضاً : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْتَمْتُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس : ٣٨] .

رابعاً : لو كانت الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله ؛ للزم عليه أن يحكى بحرف وصوت ما ليس بحرف ولا صوت ، وعلى هذا يتبين بطلان هذا المذهب^(١) .

المذهب الخامس : مذهب الأشاعرة :

قال فضيلة الشيخ عبدالعزيز الراجحي - حفظه الله - في شرحه للعقيدة الطحاوية: وهم اتباع أبي الحسن الأشعري يقولون : إن الكلام معنى قائم بنفس الرب وهو بمعنى واحد ؛ ليس بحرف ولا صوت ، وهو لا يُسمع ، لكنه معنى واحد وشيء واحد ، وهو لا يتنوع لأربعة أشياء كما يقول الكلابية .

فهم يقولون بأن الكلام معنى واحد؛ لا يتعدد ولا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يتكرر، بل هو معنى واحد، والحروف والأصوات عبارة دالة عليه؛

(١) المرجع السابق ١٦٤/١-١٦٥ .

فهذا يقول حكاية ، وهذا يقول عبارة ، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستفهاماً فهذه الصفات إضافية لهذا المعنى الواحد ، ولكنها ليست أنواعاً بل صفات إضافية لذلك النوع الواحد ؛ فيكون الخطاب أمراً بالإضافة ، ونهياً بالإضافة ، وخبراً بالإضافة ، واستفهاماً بالإضافة ؛ فهي صفة إضافية كما أن الإنسان له صفات إضافية ، فأنت شخص واحد توصف بأنك أب بالإضافة إلى أبنائك ، وتوصف بأنك ابن بالإضافة إلى آبائك ، وتوصف بأنك خال بالنسبة لأولاد الأخت . ا هـ .

فالأشاعرة أثبتوا لله الكلام النفساني ، وهو المعنى القائم بنفسه - سبحانه وتعالى - ، وأما الحروف والأصوات فهذه من قول المخلوق ، فالمعنى غير مخلوق ، وأما اللفظ عند الأشاعرة فهو مخلوق ، فجعلوا القرآن بعضه من الله وبعضه من غيره ، تعالى الله عما يقولون .

المذهب السادس : مذهب الكرامية :

وهم إحدى فرق المرجئة ، وسُموا بذلك نسبة إلى محمد بن كرام من أهل سجستان ، وهم يقولون: إن كلام الله حروف وأصوات وألفاظ ومعانٍ قائمة بذات الرب ، متعلق بمشيئته وقدرته ، فهو يتكلم متى شاء إن شاء ، إلا أن الكلام حادث في ذاته ؛ فكان الكلام ممتنعاً عن الرب ، لا يقدر عليه ، ثم انقلب فجأة فصار ممكناً .

فقولهم : إن كلام الرب ألفاظ ومعانٍ وحروف وأصوات قائم بذاته ، ومتعلق بقدرته ومشيئته ؛ فهذا حق ، لكن قولهم : إن كلام الرب حادث

في ذاته ؛ فهذا باطل ، وقولهم : إن الكلام كان ممتنعاً عن الله ، ثم انقلب فجأة فصار ممكناً ، فكانت هناك فترة لا يقدر أن يتكلم فيها ؛ فهذا مبني على أن القول بأن الكلام قديم يوجب أن تتسلسل الحوادث والموجودات . قالوا : لو قلنا بأن كلام الرب قديم ليس حادثاً للزم التسلسل في الحوادث والموجودات ، ولو أردنا إثبات أولية الرب ، فلا نستطيع أن نثبت أن الله هو الأول وليس قبله شيء ، ولا انسدّ علينا هذا الباب ، ففراراً من ذلك قالوا : إن الكلام كان ممتنعاً على الرب ، ثم انقلب فجأة فصار ممكناً ، وهذا باطل من وجوه :

أولاً : أن الرب موصوف بالكمال ؛ والكلام صفة الرب ، فالكلام صفة كمال ؛ فكيف يخلو الرب من هذا الكمال في وقت من الأوقات؟! فإذا خلا من الكمال صار ذلك نقصاً ، والله منزّه عن كل نقص .

وكيف يكون كلامه – سبحانه – ممتنعاً ثم يصير ممكناً؟! فإذا كانت حال الرب سواء ، ولم تتجدد له صفة الكلام ؛ فكيف يكون الكلام ممتنعاً كما قالوا؟! وما الذي جعله ينقلب من الامتناع إلى الإمكان؟

ثانياً : القول بأن الطريق ينسدّ بإثبات الأولية ، نقول :

لا ينسد ، فأنه هو الأول ، وليس قبله شيء ، وهو فعّال – سبحانه وتعالى – ويتكلم ويخلق بالكلام؛ إنما أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون ، وكل فرد من أفراد المخلوقات مسبوق بالعدم ، خلقه الله بقدرته ومشيتته بعد أن كان معدوماً ، وإذا وُصف كل فرد من

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

المخلوقات بهذا ؛ فلا يلزم من ذلك أن تكون هناك فترة يُعَطَّل فيها الرب^(١) .

المذهب السابع : مذهب الجهمية والمعتزلة :

قلت : مذهب الجهمية والمعتزلة حيث إن المعتزلة أخذوا بقول الجهمية وقالوا : إن كلام الرب ألفاظ ومعان وحروف وأصوات ، وهو متعلق بقدرته ومشيبته إلا أنه مخلوق ، خارج عن ذاته ، فصار به متكلماً .

فقولهم : إن كلام الرب ألفاظ ومعان وحروف وأصوات متعلق بقدرته ومشيبته ؛ فهذا حق ، ولكن قولهم : إنه مخلوق فهذا باطل . وقالوا : إن الله - سبحانه - لما نادى موسى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة . قالوا : إن الله خلق الكلام في الشجرة ، فهي التي قالت : ﴿ **إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [القصص : ٣٠] تعالى الله عما يقولون .

المذهب الثامن : مذهب أهل السنة والجماعة :

وهم أتباع الرسل يقولون : أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه ، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف ، بل كله لفظه ومعناه وحروفه كله من الله سبحانه وتعالى ، تكلم الله به حقيقة كما

(١) المرجع السابق ١٦٧/١-١٦٨ . بتصرف بسيط .

يليق به سبحانه وتعالى ، وسمعه منه أمين الوحي جبريل عليه السلام ،
وبلغه إلى محمد كما قال تعالى : **﴿وَأَنزَلْنَا لِنزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** يعني القرآن

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ وهو جبريل **﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾** الخطاب لمحمد ﷺ

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء : ١٩٢-١٩٥] .

تكلم الله به باللسان العربي ، فلفظه ومعناه وحروفه كله من الله سبحانه وتعالى ، ليس بعضه مخلوق كما تقول الأشاعرة ، وليس كله مخلوق كما تقول الجهمية والمعتزلة ، بل كله ليس بمخلوق لا لفظه ولا معناه ولا حروفه^(١) .

فقول الناظم - رحمه الله - : **«وقل غير مخلوق كلام مليكنا»** :
هذه عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان والأئمة وأتباعهم ، فهم أتباع الرسل عليهم السلام .
وإضافة الكلام إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، لا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق كما قالت المعتزلة .
وقول الناظم - رحمه الله - : **«بذلك دان الأتقياء وأفصحوا»** :

(١) شرح الدرر المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ، فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان ص ٨٦ ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، اعتنى بإخراجه وطبعه عبدالسلام عبدالله السليمان .

« **بذلك** » إشارة إلى معتقد أهل السنة والجماعة وهو المعتقد الحق في كلام الله .

« **دان الأتقياء** » أي : آمنوا واعتقدوا ذلك أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

والأتقياء : صفة لأهل السنة . فالتقوى معناها : « أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله » .

فهؤلاء الأتقياء من أهل السنة اتقوا الله بفعل أوامره واجتنب نواهيه ، ومن أعظم ما تركوه وابتعدوا عنه الكفر والبدع المستحدثة في دين الله **وَعَبَّكُمُ** والتي منها القول بخلق القرآن .

« **وأفصحوا** » أي بالإضافة إلى أنهم آمنوا واعتقدوا بقلوبهم أفصحوا وصرحوا ووضحوا معتقد أهل السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق كما بينت في الصفحات السابقة خلافاً لما اعتقده أهل البدع والأهواء .

ثم قال الناظم - رحمه الله - : « **ولا تك في القرآن بالوقف قانلاً** » : بدأ الناظم يرد على طائفة من طوائف الجهمية وهم الواقفة الذين يقولون: إن القرآن كلام الله ولا يقال مخلوق ولا غير مخلوق، فهم تأثروا ببدعة الجهمية ، ولذا قال الإمام أحمد : « الواقفة جهمية » ولذلك وصفهم الناظم - رحمه الله - بأنهم أتباع الجهم . فمن الجهمية من يُصرِّح بأن القرآن مخلوق ، وهؤلاء هم رؤوس الجهمية ، ومنهم من

يقول: أنا لا أقول مخلوق أو غير مخلوق ، بل أتوقف ! وهذا في الحقيقة أخبث من الجهمية؛ لأن الجهمية صرّحوا وعُرفَ مذهبهم ، وأما هذا فهو يخدع الناس في أنه مُتورّع، ولا يستطيع أن يصرح بهذا الأمر . وكما نعلم أنه لا يكفي التوقف ، بل لابدّ من التصريح وبيان بطلان هذا القول .

ثم قال الناظم – رحمه الله - : **« كما قال أتباع لجهم وأسجحوا »** : فالناظم – رحمه الله - جعل هؤلاء الذين توقفوا وهم الواقفة أتباع للجهمية (١) .

وقوله : **« وأسجحوا »** أي : تساهلوا . وفي بعض النسخ : وأسْمَحُوا : أي سمحوا لهذا ، وسوء أسجحوا أو اسمحوا ، فمعناه : أنهم لم ينكروا ، وإنما لانوا مع قول الجهمية ولم ينكروا عليهم ، بل توقفوا . ثم قال الناظم – رحمه الله - :

« ولا تقل القرآن خلقاً قراءةً فإن كلام الله باللفظ يوضح » : بدأ الناظم يرد على بدعة أخرى غير بدعة الواقفة ، ألا وهي بدعة اللفظية الذين يقولون : لفظي بالقرآن مخلوق ، أو قراءتي بالقرآن مخلوقة ، أو تلاوتي بالقرآن مخلوقة .

(١) وهم أتباع جهم بن صفوان وهو رأس من رؤوس الجهمية ، والجهم أخذ هذا المذهب عن الجعد بن درهم ، عن أبان بن سمعان ، عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي وهو أخذ ذلك عن يهود اليمن .

وهذه البدعة متولدة عن بدعة الجهمية أيضاً .
فلا يجوز أن نقول : لفظي بالقرآن مخلوق ، ولا يجوز أن نقول : غير
مخلوق ، بل لا بد من التفصيل .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : « من قال لفظي بالقرآن مخلوق
فهو جهمي ، ومن قال : غير مخلوق فهو مبتدع » ؛ لأن القول « لفظي
بالقرآن مخلوق » يحتمل أمرين : أحدهما مخلوق وهو حركات اللسان ،
والآخر غير مخلوق وهو كلام الله وباطل أن يقال إن كلام الله مخلوق .

وإذا قلت « لفظي بالقرآن غير مخلوق » أيضاً يحتمل أمرين :
أحدهما : حركات اللسان وباطل أن يقال هذا غير مخلوق ، والآخر
المقروء وهذا غير مخلوق ، ولذا كان لا بد من التفصيل في هذه المسألة
بأن نقول : ماذا تريد بقولك : لفظي بالقرآن ؟ هل تريد حركات اللسان
من التلفظ والصوت ؟ أم تريد الملفوظ به ؟

فإن كنت تريد الملفوظ به فهو غير مخلوق ، فهو كلام الله جلا وعلا ،
أما إذا أردت به حركات اللسان من التلفظ والصوت فهذا مخلوق
فاللسان مخلوق ، وصوتك مخلوق ، ولفظك مخلوق ، ولكن المقروء
وهو كلام الله غير مخلوق ، فلا بد من هذا التفصيل .

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال الناظم - رحمه الله - :

وَقَلَّ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحَ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ
وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنِ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ

الشرح :

بيّن الناظم - رحمه الله - اعتقاد أهل السنة والجماعة في أن الرؤية حق ، دلّ عليها الكتاب والسنة ، و أجمع عليها المسلمون .
فمن أدلة القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق : ٣٥] .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : « مزيد أي : ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأعظم ذلك وأجلّه وأفضله ، النظر إلى وجه الله الكريم ، والتمتع بسماع كلامه ، والالتعم بقربه ...» اهـ^(١) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، دار ابن حزم / الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ص ٧٧٢ .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله ^(١) - : « ولدينا مزيد » كقوله ﷺ:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] ففي صحيح مسلم عن

صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم ^(٢) .

قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] .

فالمراد بالحسنى في الآية : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم ؛ كما جاء تفسير ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه بأن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم ^(٣) .

قال الشيخ السعدي – رحمه الله - : « ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

أي للذين أحسنوا في عبادة الخالق ، بأن عبده على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته ، وقاموا بما قدروا عليه منها ، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلية ، من بذل

(١) المصباح المنير في تهذيب ابن كثير – دار السلام للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ٢٠٠٠م – ص/١٣١٢ .

(٢) مسلم ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨١) ، صحيح ابن حبان ، ذكر البيان بأن رؤية المؤمنين ربهم في المعاد من الزيادة التي وعد الله عباده (٧٤٤١) ، ابن ماجه ، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٧) ، الترمذي ، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى (٢٥٥٢) ، باب ومن سورة يونس (٣١٠٥) ، أحمد (١٨٩٥٥) ، (١٨٩٦١) ، (٢٣٩٧٠) ، الترغيب والترهيب ، فصل في نظر أهل الجنة إلى ربهم تبارك وتعالى (٥٧٤٤) .

(٣) سبق تخريجه .

الإحسان المالي ، والإحسان البدني ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجاهلين ، ونصيحة المعرضين ، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان .

فهؤلاء الذين أحسنوا لهم ﴿الْحَسَنَى﴾ وهي الجنة الكاملة في حسنها ، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى وجه الله الكريم ، وسماع كلامه ، والفوز برضاه ، والبهجة بقربه ، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون ويسأله السائلون... اهـ (١) .

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « أي تراه عياناً » (٢) .

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - : « ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي : تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشياً ، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة ، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وجماله الباهر ، الذي ليس كمثلته شيء ، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحصل لهم من اللذة والسرور ، ما لا يمكن التعبير عنه ، ونضرت وجوههم ، فازدادوا جمالاً إلى جمالهم ، فنسأل الله الكريم أن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٣٣٩ .

(٢) المصباح المنير في تهذيب ابن كثير ص ١٤٦٥ .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

يجعلنا منهم ... »^(١) .

وكما هو معلوم أن النظر إذا عُدِّي بـ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار ،
وإذا عُدِّي بنفسه مثل (ينظرون) فمعناه الانتظار ، وإذا عدي بـ (في)

كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾
[الأعراف : ١٨٥] فمعناه التفكير والاعتبار .

والآية التي نحن بصددتها ﴿ **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ فالنظر هنا عُدِّي بـ (إلى)
فالمعنى: المعاينة بالأبصار .

وقد يقول البعض : إن الله تعالى يقول : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ**

الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

فليعلم هؤلاء أن الإدراك غير الرؤية ، فالمؤمنون يرون الله تعالى يوم
القيامة ، ولكن لا يدركونه ، أي : لا يدركون عظمته ، ولا يحيطون به
علماء .

فالله سبحانه وتعالى يُرى ، ولكنه لا يُدرك ، أي : لا يُحاط به
سبحانه .

قال تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٥] .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٨٦٠-٨٦١ .

أخبر الله جل وعلا أن الكفار محجوبون عن الله فلا يرونه ؛ فدل على أن المؤمنين يرونه سبحانه .

قال الدكتور محمد سليمان الأشقر – رحمه الله – في تفسيره للآية :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ أي : عن ربهم يوم القيامة ، لا ينظرون

إليه كما ينظر المؤمنون ، فكما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته.. اهـ (١) .

وأما من السنة : فأحاديث الرؤية متواترة ، ذكرها العلامة ابن القيم – رحمه الله – في كتابه « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » في الباب الخامس والستين من الكتاب منها على سبيل الذكر لا الحصر :

* ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟** » قالوا : لا يا رسول الله . قال : « **فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟** » قالوا : لا يا رسول الله . قال : « **فإنكم ترونه كذلك** » (٢) .

* ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال :

(١) زبدة التفسير ، د. محمد سليمان الأشقر ، دار النفائس ، دار التدمرية ، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ص ٥٨٨ .
(٢) البخاري ، باب الصراط جسر جهنم (٦٢٠٤) ، وباب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (٧٠٠٠) ، ومسلم باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨٢) ، (١٨٣) ، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨) .

كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة يعني : البدر فقال : **« إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته »** (١) .

وهذا ما استدل به الناظم في قوله :

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ

وقوله ﷺ : **« لا تضامون »** بضم أوله مخففاً ، أي : لا يحصل لكم ضم حينئذ ، وروي بفتح أوله والتشديد من الضم ، والمراد نفي الازدحام (٢) .

* ما ثبت عنه ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ أنه قال : **« جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »** (٣) .

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك (٤) : قوله ﷺ : **« إلا رداء الكبرياء على وجهه »** يدل على أن الحجاب قد يكون صفة ، فالله

(١) البخاري باب إثم من فاتته صلاة العصر (٥٢٩) ، باب وقت العشاء إلى نصف الليل (٥٤٧) ، باب (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (٦٩٩٧) ، مسلم باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها (٦٣٣) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار طيبة ٣٢٣/٢ ، ط. الثانية ١٤٢٩ هـ .

(٣) البخاري ، باب : (ومن دونهما جنتان) (٤٥٩٧) ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) (٧٠٠٦) ، ومسلم ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨٠) .

(٤) فتح الباري هامش ٤٤٢/١٧ .

يحتجب من عباده بما شاء وكيف شاء ، وما يكون حاجباً لعباده عن رؤيته لا يحجبه سبحانه وتعالى عن رؤيته لخلقه ، ويشهد لهذا قوله ﷺ :
« حجابہ النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

* ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه وفيه : **« ثم ليَقْفَنَّ أحدكم بين يدي الله ، ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرْجُمان يترجم له ثم ليقولنَّ له : ألم أوتيك مالاً ؟ فليقولنَّ : بلى ، ثم ليقولنَّ : ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فليقولنَّ بلى ... »** الحديث^(١) .
 والشاهد هنا قوله : **« ليس بينه وبينه حجاب »** .

* ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **« إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال : فيُكشَف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلا ربهم عز وجل»**^(٢) .

(١) البخاري ، باب الصدقة قبل الرد (١٣٤٧) ، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٠٠) ، باب من نوقش الحساب عذب (٦١٧٤) ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) (٧٠٠٥) ، ومسلم ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٦) .

(٢) مسلم ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨١) ، والترمذي ، باب ومن سورة يونس (٣١٠٥) ، أحمد (١٨٩٥٥) ، الترغيب والترهيب ، فصل في نظر أهل الجنة إلى ربهم تبارك وتعالى (٥٧٤٤) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

فهذه الأدلة من القرآن والسنة وغيرهما الكثير تثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بالأبصار عياناً ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، والصحابة والتابعون لهم بإحسان والأئمة من بعدهم ؛ فهم يثبتون رؤية الله بالإبصار ، ويثبتون الفوقية أيضاً ؛ وأنهم يرون ربهم من فوقهم ، فهم يثبتون الفوقية والعلو ، ويثبتون الرؤية .

فقول الناظم – رحمه الله - : **« وقل »** الخطاب هنا للمسلم المتمسك بالكتاب وصحيح السنة .

« يتجلى » أي : يظهر **« الله للخلق »** أي : للمؤمنين ، فهم الذين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ، ويكرمهم الله سبحانه بالنظر إليه ،

أما الكفار فلا يرونه ، قال تعالى : **﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾** [المطففين : ١٥] وهذه عقوبة لهم .

« جهرة » أي : عياناً جهاراً **« كما البدر لا يخفى »** البدر : هو القمر ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر ، وهي ليالي الإبدار ، وهذا أخذه

الناظم – رحمه الله - من قول النبي ﷺ : **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر»** (١) .

(١) البخاري باب فضل صلاة العصر (٥٢٩)، باب فضل صلاة الفجر (٥٤٧)، باب وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٤٥٧٠)، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) (٦٩٩٧) ، ومسلم ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها (٦٣٣).

والكاف هنا للتشبيه ، أي : تشبيه فعل العبد الذي هو رؤية القمر بفعله لرؤية ربه يوم القيامة .

« **وربك أوضح** » أي : أن الله سبحانه وتعالى – سيراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم عياناً على الحقيقة .

والرب هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف : الخلق، والملك ، والتدبير ، فهو الخالق ، المالك لكل شيء ، المدبر لجميع الأمور .

قال الناظم – رحمه الله - :

وليس بمولود وليس بوالد **وليس له شبه تعالى المسبح**

بعد أن أثبت الناظم في البيت السابق رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أتى بهذا البيت ؛ ليبين أن إثبات الرؤية لا يستلزم تشبيهه الله ﷻ بالمولود أو بالولد ، ولا يستلزم نقصاً في حق الله ﷻ؛ لأن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة تفضل منه سبحانه وتعالى لأهل الإيمان .

فهذا البيت أخذه الناظم – رحمه الله - من قوله ﷻ في سورة

الإخلاص: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ**



فقوله : **« وليس بمولود وليس بوالد »** لأنه سبحانه وتعالى لا مثيل له . قال شيخنا العلامة ابن عثيمين – رحمه الله - : الولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي ﷺ في فاطمة : **« إنها بضعة مني »** ،

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

والله - جل وعلا - لا مثيل له ، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة على مكابدة الدنيا ، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل ، والله عز وجل مستغن عن ذلك ، فلهذا لم يلد لأنه لا مثيل له ؛ ولأنه مستغن عن كل أحد عز وجل ، وقد أشار الله - عز وجل - إلى امتناع ولادته في قوله تعالى : ﴿ **أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ**

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١] . فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده ، وكذلك هو خالق كل شيء ، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه .

وفي قوله تعالى **(لَمْ يَكِدْ)** رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم ، وهم : المشركون ، واليهود ، والنصارى ؛ لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، وقالوا : إن الملائكة بنات الله ، واليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، فكذبهم الله بقوله : ﴿ **لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ** ﴾ لأنه عز وجل هو الأول ليس قبله شيء ، فكيف يكون مولوداً؟! .. اهـ ^(١) .

فهو سبحانه لم يتفرع عن غيره ولم يتفرع عنه غيره .

(١) تفسير القرآن الكريم ، جزء عم ، لشيخنا فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، دار الثريا للنشر ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ/ص ٣٥٤ .

« وليس له شبه » أي : ليس له مثل ولا نظير ولا شبيه له لا في

أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقول الناظم - رحمه الله - : « تعالى المسيح » أي تعالى الله ﷻ عن الشبيه والنظير ، وفيه إثبات صفة العلو لله ﷻ .

« المسيح » أي : المنزه - سبحانه وتعالى - عن النقائص والعيوب ، وينزه - سبحانه - عن مشابهة الخلق .

قال الناظم - رحمه الله - :

« وقد ينكر الجهمي هذا » أي : أن حقيقة مذهب الجهمية إنكار رؤية

الله ﷻ .

و الجهمي هو من أتباع الجهم بن صفوان ، وهو من رؤوس الجهمية ، وهم ينكرون رؤية الله - عز وجل - كما ذكرت قبل ذلك في الصفحات السابقة .

وقول الناظم : « وعندنا بمصدق ما قلناه حديث مصرح » :

أي : وعندنا نحن أهل السنة والجماعة بمصدق ما قلناه وهو إثبات رؤية المؤمنين لربهم عياناً يوم القيامة حديث مصرح أي : صريح الدلالة على إثبات الرؤية ، وفي نسخة أخرى « حديث مصحح » أي : حديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ ، فحديث الرؤية متواتر ، ومن المعلوم

أن المتواتر يفيد العلم القطعي ؛ فلا تجوز مخالفته .

وقول الناظم – رحمه الله - : **« رواه جرير عن مقال محمد »** :

أي روى هذا الحديث حديث الرؤية الذي ذكرته قبل ذلك الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه (١) قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: **«أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»** (٢) يعني صلاتي الفجر والعصر .

فالحديث في أوله عقيدة ، وفي آخره عمل ، العقيدة قوله صلى الله عليه وسلم : **« إنكم سترون ربكم يوم القيامة »** هذه هي العقيدة في قلوب المؤمنين ، والمؤمن حينما يسمع **« إنكم سترون ربكم يوم القيامة »** ما الذي يتحرك في قلبه ؟ الشوق إلى هذه الرؤية وطمعاً في تحصيلها ، ولذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي تنال به هذه الرؤية ؛ فذكر أعظم الأعمال البدنية وهي الصلاة ، وخصّ النبي صلى الله عليه وسلم صلاتي الفجر والعصر لأنها أعظم الصلاة المفروضة .

وقول الناظم – رحمه الله - : **« فقل مثلما قد قال في ذاك تنجح »** :

(١) وقد روى الحديث غير واحد من الصحابة منهم : أبو هريرة ، وأبوموسى الأشعري ، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم جميعاً وغيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم .
(٢) سبق تخريجه .

« **فقل** » أيها المسلم المتمسك بالكتاب وصحيح السنة مثل ما قال رسول الله ﷺ ، لا مثل ما قال الجهمية **تنجح** ، ولا تخالف قول الرسول ﷺ فتخسر ، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الْوَحَىُّ يُوحِي** ﴾

[النجم / ٤] فالسنة وحي كما أن القرآن وحي من الله عز وجل .

* * *

إنكار الجهمية لصفة اليدين لله - عز وجل -

وَقَدْ يَنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكَلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ

« قد » للتحقيق ، فإذا دخلت على المضارع فإن لها أحوالاً بحسب السياق ، أحياناً تدخل على المضارع وتكون للتقليل ، مثل : قد يوجد البخيل ، وأحياناً تكون للتكثير ، وأحياناً تكون للتحقيق ، وهنا المراد بها التحقيق .

فقول الناظم - رحمه الله - : « وقد ينكر الجهمي » أي : أتباع الجهم بن صفوان ينكرون الأسماء والصفات ومنها اليدان وأهل السنة والجماعة يثبتون اليدين لله عز وجل حقيقة على الوجه اللائق بكماله سبحانه دون تشبيهه بيدي المخلوق ، وخلافاً للمعطلة الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، و على رأسهم الجهمية ، فأهل السنة والجماعة وسط بين المشبهة والمعطلة ، فيثبتون لله ما أثبتته لنفسه من صفات الذات وصفات

الأفعال بلا تمثيل ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴾ [الشورى : ١١] .

فهذه الآية ردٌ على المشبهة في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

وردّ على المعطلة في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

فأهل السنة و الجماعة يثبتون اليدين لله تعالى بالكتاب وصحيح السنة

وإجماع سلف الأمة .

*** فمن أدلة القرآن الكريم :**

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: ٧٥] .

فإنه عز وجل خلق آدم عليه السلام بيديه الثنتين كما هو ظاهر الآية .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] .

فأثبت الله عز وجل له يدين .

*** الدليل من السنة :**

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « يد الله ملى ، لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، رأيتم ما أنفق الله منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه»^(١) .

قال شيخنا العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - :
«قوله ﷺ : « يد الله ملى ... سحاء » يعني فيها الخير الكثير ،
«سحاء» : أي معطاء تعطي ؛ وذلك لأن اليد قد تكون خالية فلا يمكن

(١) البخاري باب قوله : (وكان عرشه على الماء) (٤٤٠٧) ، باب قول الله تعالى : (لما خلقت بيدي) (٦٩٧٦) ، باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) (٦٩٨٣) ، ومسلم باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٩٩٣) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

العطاء منها ، وقد تكون ملأى ويكون صاحبها بخيلاً ، فإذا كانت ملأى ولكن صاحبها لا ينفق صارت غير سحاء ، وإذا لم يكن فيها شيء فلا إنفاق ؛ لأنها خالية ، أما يد الله سبحانه وتعالى فملأى سحاء دائماً ، تعطي الليل والنهار ، ومع ذلك فإنه لم يغض ما في يمينه أي : لم ينقص»^(١) .

ما ثبت عن النبي ﷺ قال : **« إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل »** ^(٢) .
* أما الإجماع :

فقد أجمع السلف على إثبات اليدين لله ، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكيف ولا تمثيل ، وهما يدان حقيقتان لله تعالى تليقان به .

وقول الناظم - رحمه الله - : **« وأيضاً »** أي : كما أنه أنكر رؤية الله عز وجل فإنه أيضاً ينكر إثبات اليدين لله عز وجل .
وقوله **« يمينه »** : اليمين صفة ثابتة لله - عز وجل - ، فالله له يدان حقيقتان ، واليمين ثابتة لله عز وجل في القرآن والسنة ، قال الله تعالى :

(١) شرح العقيدة السفارينية للعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، مدار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ص ٢٥٦ .
(٢) مسلم باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٩) ، أحمد (٣٦٧٣) (٣٨٢١) (٤٢٦٨) (١٩٥٤٧) (١٩٦٣٥) ، مجمع الزوائد ، باب أوقات الإجابة (١٥٣/١٠) ، الترغيب والترهيب ، كتاب التوبة والزهد ، الترغيب في التوبة والمبادرة بها واتباع السيرة الحسنة (٤٧٤٠) .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال : « **يمين الله ملى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أريتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه وعرشه على الماء ، ويده الأخرى القسط يرفع ويخفض**»^(١) وشماله يمين فكلتا يديه يمين كما في الحديث .

وقوله : « **وكلتا يديه بالفواضل** » أيضاً يثبت الناظم – رحمه الله -

أن الله يدين ، قال تعالى : ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »^(٢) .

(١) البخاري ، باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) (٦٩٨٣) ،

مسلم باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٩٩٣) .

(٢) مسلم باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١٨٢٧) ، صحيح ابن حبان ، ذكر وصف الأئمة في القيامة إذا كانوا عدولاً في الدنيا (٤٤٨٤) ، النسائي ، باب فضل الحاكم العادل في حكمه (٥٣٧٩) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

« بالفواضل » جمع فاضلة ، وهو الخير والجود والكرم والعطاء .
 « تنفح » أي: مستمرة في العطاء الذي لا ينقطع منه سبحانه وتعالى.
 وفي نسخة أخرى للمنظومة « تنضح » بدلاً من « تنفح » والنضح
 كما هو معلوم معناه الرش والسقي ، وعلى كلِّ فالله عز وجل يعطي
 الجزيل ويكرم عباده ويعطيهم العطاء الواسع ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] أي : بالجود والعطاء والكرم .

وخلاصة هذه المسألة: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ:
صفات ذاتية : وهي التي لا تنفك عن الذات الإلهية ولا تعلق لها
 بالمشيئة مثل : اليدان ، الوجه ، العينان .

وصفات فعلية : وهي التي تتعلق بمشيئته – سبحانه -، إن شاء فعلها،
 وإن شاء لم يفعلها ، كالاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء
 الدنيا، والخلق ، والرزق .

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله
 صفة ذاتية؛ لأن الله ﷻ لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام
 صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء كما في
 قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢].

*** مسألة : وردت صفة اليدين على ثلاثة أوجه :**

١- الإفراد كقوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿١﴾ [الملك : ١] .

٢- التثنية كقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] .

٣- الجمع كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾

[يس : ٧١] .

فكيف نوفق بين هذه الوجوه :

والجواب على ذلك : قال العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - : « والتوفيق بين هذه الوجوه أن تقول : الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي التثنية ، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو الثلاثة فأكثر ، وحينئذ لا ينافي التثنية ، على أنه قد قيل : إن أقل الجمع اثنان ، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً » ^(١) ، أو المراد أيدي الملائكة الذين ينفذون أوامر الله سبحانه

* * *

(١) تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لشيخنا العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ص ١٩ ، مدار الوطن ، طبعة عام ١٤٢٣ هـ .

إثبات صفة النزول لله عز وجل

وَقَدْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِإِذَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ : أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَاْمُنْحُ
رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا

ذكر الناظم - رحمه الله - هذه الأبيات في إثبات نزول الله - سبحانه وتعالى - إلى السماء الدنيا ، وهذا مذهب أهل السنة أنهم يثبتون نزول الله - سبحانه وتعالى - إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ينزل نزولاً حقيقياً إلى السماء الدنيا؛ لأن الرسول ﷺ قال ذلك ، وهو أعلم بربه - سبحانه وتعالى - وما يليق به سبحانه .

وهذا النزول تواتر به الأحاديث عن النبي ﷺ ، وذكر ذلك ابن القيم - رحمه الله - في « الصواعق المرسله » حيث قال : « إنها وردت من نحو ثلاثين صحابياً »^(١) أي : أحاديث النزول .
وقال الذهبي - رحمه الله - : « وقد ألفت أحاديث النزول في جزء ، وذلك متواتر أقطع به .. » اهـ^(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في شرح حديث النزول :

(١) الصواعق المرسله ، لابن القيم رحمه الله ، دار العاصمة ١/٣٨٧ .
(٢) العلو للإمام الذهبي ، أضواء السلف ، ص ١٠٠ .

« وهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث »^(١) .

وقد ذكر الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - في كتابه « معارج القبول شرح سلم الوصول » كثيراً من ألفاظ حديث النزول ، وهذا يدل على أنه - سبحانه وتعالى - ينزل كما يشاء نزولاً يليق بذاته - سبحانه وتعالى - .

ومن هذه الروايات على سبيل الذكر لا الحصر :

* ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له »^(٢) .

* من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله : هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ؟ »^(٣) .

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا ، ثم بسط يده فقال : من يسألني فأعطيه ؟ حتى يطلع الفجر »^(٤) .

(١) مجموع الفتاوى ٤٧٠/٥ .
 (٢) البخاري باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، وقول الله عز وجل : (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) أي : ما ينامون وبالأسحار هم يستغفرون (١٠٩٤) ،
 ومسلم باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨) .
 (٣) أخرجه أحمد (١٦٧٩١) وغيره ، والحديث صحيح .
 (٤) أخرجه أحمد (٣٦٧٣) ، (٣٨٢١) وهو صحيح بشواهده .

فهذه الروايات وغيرها لدليل واضح على وجوب إثبات النزول لله سبحانه وتعالى – كما أثبتته له رسوله ﷺ نزولاً يليق بذاته – سبحانه وتعالى – ليس كنزول المخلوق، وإنما ثبتته له سبحانه كما جاء، مؤمنين به ، لا نتأوله ، ولا نُعطله ، ولا نمثله بنزول المخلوق ، وهذه هي عقيدة أهل السنة في صفات الله عز وجل .

أما الرد على هؤلاء المخالفين لعقيدة أهل السنة في صفة النزول ، فمنهم من يقول **«ينزل ربنا»** أي : تنزل رحمة ربنا ، ومنهم من قال **«ينزل ربنا»** أي : ملك من الملائكة .

والرد على هؤلاء أن نقول :

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - :

أولاً : أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص ؛ لأن ظاهره أن الذي ينزل هو الله عز وجل .

ثانياً : أن قولهم هذا مخالف لصريح النص في قوله تعالى : **« من يدعوني »** إذ إن الملك لا يمكن أن يقول للخلق من يدعوني فأستجيب له ، لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله ، ولو أن أحداً قاله من الخلق لقلنا إنه نزل نفسه منزلة الخالق ، والملائكة مكرمون عن هذا ، فالملائكة يسبّحون الله الليل والنهار لا يفترون ، ويتبرؤون ممن يدعون غير الله .

وأيضاً فإن قلنا : إن الرحمة هي التي تنزل إلى السماء الدنيا ، فإن هذا من الغلط ؛ لأن رحمة الله ليس غايتها السماء الدنيا ، بل إن الرحمة

تنزل إلى الأرض حتى تبلغ الخلق ، وأي فائدة لنا إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا؟!!

ثم إن الرحمة تنزل كل وقت ، ولا تختص بثلاث الليل الآخر ، فإذا خصصناها بثلاث الليل الآخر فمعنى ذلك أن يبقى الزمن أكثره بدون رحمة.

ثم إن الرحمة لا يمكن أن تقول : « من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه » ؛ لأن الرحمة صفة من صفات الله ، ولو قالت هذا القول لكانت إلهاً مع الله ، ولهذا لا يصح لنا أن ندعو صفات الله ، حتى إن من دعا صفات الله فهو مشرك ، فلو قال : يا قدرة الله اغفر لي . يا مغفرة الله اغفر لي . يا عزة الله أعزيني . فهذا لا يجوز ، بل هو مشرك ؛ لأنه جعل الصفة بائنة عن الموصوف ، مدعوة دعاءً استقلالياً وهذا لا يجوز ... اهـ (١) .

ويقولون أيضاً : « ينزل » أي : ينزل أمره ! .

فنقول لهم : أن الحديث فيه أنه يقول : « من يستغفري ... » الحديث فهل الأمر يقول : من يستغفري ؟ من يسألني ؟ فهذا باطل ، وإنما الذي يقول هذا هو الله – سبحانه وتعالى - .

قالوا أيضاً : كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلاث الليل

(١) شرح العقيدة السفارينية ، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ص ٢٨٠-٢٨١ .

الآخر ، ونحن نعلم أن ثلث الليل الآخر لا يزال سارياً جارياً على الأرض وتحت السماء ، فيلزم من ذلك أن يكون النزول إلى السماء الدنيا دائماً ؟

والجواب : قال العلامة ابن عثيمين – رحمه الله - : ليس هناك إشكال في نزول الله تعالى في الثلث الليل الآخر رغم استمرار تتابعه على الأرض، ونحن نؤمن بقول الرسول ﷺ: « ينزل حتى يطلع الفجر » (١)، فإذا كان كذلك فالواجب علينا ألا نتجاوزه ، فما دام ثلث الليل الآخر باقياً في منطقة من المناطق الأرضية فالنزول حاصل باقٍ ، ومتى طلع الفجر في هذه المنطقة فلا نزول ، وإن كان في الجهة الأخرى يوجد نزول ، والله على كل شيء قدير ، ولا يقاس سبحانه بالخلق ؛ فينزل إلى السماء في ثلث الليل الآخر في جهة من الأرض ، ولا ينزل بالنسبة لجهة أخرى ليس فيها ثلث الليل. اهـ (٢).

وقال شيخنا العلامة فضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان غفر الله له : هذا لا ندخل فيه ؛ لأن هذا من أمر الله ، فالذي سخر الليل والنهار وجعلهما يتعاقبان هو الذي أخبر أنه ينزل – سبحانه وتعالى - ، فنحن نثبت النزول ولا نتعرض للكيفية ، ولا نقول : كيف ينزل وثلث الليل

(١) سبق تخريجه .

(٢) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

يختلف باختلاف الأقاليم؟! بل نقول : هذا إذا كان نزول المخلوق ، أما نزول الخالق فهو ينزل كيف يشاء – سبحانه وتعالى .. اهـ (١) .

وهناك مسألة أخرى: ربما يقول قائل : هل إذا نزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا يخلو منه العرش أم لا ؟

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين – رحمه الله - :

في هذا ثلاثة أقوال لعلماء السنة :

- فمَنهم من قال : إن العرش يخلو منه .

- ومنهم من قال : إن العرش لا يخلو منه .

- ومنهم من توقف .

فأما الذين قالوا : إن العرش يخلو منه ، فقولهم باطل ؛ لأن الله أثبت أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض ، ولم يُنَفَ هذا الاستواء في الحديث حين قال الرسول ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » فوجب إبقاء ما كان على ما كان ، وليس الله ﷻ كالمخلوقات ، إذا شغل حيزاً فرغ منه الحيز الآخر ، نعم ، نحن إذا نزلنا مكاناً خلا منا المكان الآخر ، أما الله ﷻ فلا يُقاس بخلقه ، فهذا القول باطل لا شك فيه . ويبقى النظر في القولين الآخر ، وهما التوقف ، أو أن نقول : لا يخلو منه العرش .

(١) شرح المنظومة الحائية للعلامة فضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان ، دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ص ٩٨ .

فذهب جماعة من العلماء - رحمهم الله - إلى التوقف ، وقالوا: ما لنا ولهذا السؤال أصلاً . ولا ينبغي أن نورد هذا السؤال ؛ لأننا لسنا أشد حرصاً على العلم بالله من الصحابة - رضي الله عنهم - ، ولم يسألوا الرسول ﷺ عن هذا ، فنقول : هذا السؤال من أصله غير وارد ، ونقول لمن أورده : أنت مبتدع ودعنا من هذا .

وذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يخلو منه العرش؛ لأن الله تعالى ذكر أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض ، ولم يذكر النبي ﷺ أنه إذا نزل خلا منه العرش ، فالواجب بقاء ما كان على ما كان ، فهو سبحانه استوى على العرش ، ولم يزل مستوياً عليه ، وينزل إلى السماء الدنيا في هذا الوقت ، والله على كل شيء قدير ، وهو سبحانه لا يقاس بخلقه .

ويقول شيخنا - رحمه الله - : ولكني أميل إلى ترجيح القول الثاني وهو التوقف ، وألا يورد هذا السؤال أصلاً ، وإذا كان الإمام مالك - رحمه الله - لما قال له القائل : الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى؟ قال : السؤال عن هذا بدعة ؛ فإننا نقول في هذا : السؤال عنه بدعة اهـ (١) .

فقول الناظم - رحمه الله تعالى - : « **وقل ينزل الجبار في كل ليلة** » أي: قل أيها المسلم المتمسك بالكتاب والسنة ولا تتردد : ينزل الله جل

(١) شرح العقيدة السفارينية ص ٢٧٤-٢٧٦ بتصريف بسيط .

وعلا إلى السماء الدنيا في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر كما أخبر النبي ﷺ^(١).

« الجبار » اسم من أسماء الله تعالى له ثلاثة معانٍ :

الأول : بمعنى القهار .

الثاني : يرجع إلى لطف الرحمة والرأفة ، فهو الذي يجبر الكسير ، ويغني الفقير ، وييسر العسير ، ويجبر المريض والمصاب بتوقيفه للصبر وتيسير المعافاة له ، مع تعويضه على مصابه أعظم الأجر ، ويجبر جبراً خاصاً قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله ، وقلوب المحبين له الخاضعين لكماله ، الراجين لفضله ونواله ، بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف والتوفيق الإلهي ، والهداية والرشاد ... اهـ^(٢) .

الثالث : من معاني الجبار : العلي على كل شيء ، الذي له جميع معاني العلو : علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر^(٣) .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **في كل ليلة** » كما جاء في حديث رسول الله ﷺ .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **بلا كيف** » أي : من غير كيف معلوم لنا ، فأنه عز وجل يعلم كيفية نزوله - سبحانه وتعالى - ؛ لأنه سبحانه

(١) ذكرت بعض الروايات الثابتة عنه ﷺ في ذلك في الصفحات السابقة .

(٢) فقه الأسماء الحسنی ، د. عبدالرزاق البدر ، دار التوحيد للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ص ٢٤٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٨ .

أعلم بذاته ، ولذا لما سُئِلَ الإمام مالك - رحمه الله - عن الاستواء قال :
الاستواء معلوم ، والكيف مجهول . ولم يقل - رحمه الله - « والكيف
معدوم » ؛ لأن نفي الكيف ليس نفيًا للكيفية ، وإنما نفي لعلمنا بالكيفية ،
فصفات الله - عز وجل - لها كيفية الله أعلم بها .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **جل الواحد المتمدح** » :

« **جل** » أي : تعظم قدره وشأنه عن التكيف ، قال تعالى : ﴿ **بَرَكَاتُ**

رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨] .

« **الواحد** » اسم من أسماء الله تعالى دالٌّ على وحدانية الله - سبحانه
وتعالى - فهو واحد في ذاته لا شبيه له ، وواحد في صفاته لا مثيل له ،
وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير ، وواحد في ألوهيته فليس له ند
في المحبة والتعظيم والذل والخضوع ، وهو الواحد الذي عظمت
صفاته حتى تفرد بكل كمال ، وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا
بشيء من صفاته أو يدركوا شيئاً من نعوته ، فضلاً عن أن يماثله أحد
في شيء منها (١) .

« **المتمدح** » أي : المتصف بصفات المدح والكمال ، فهو سبحانه

الذي يمدحه المؤمنون ويثنون عليه .

(١) فقه الأسماء الحسنى ، د. عبدالرزاق البدر ص ١٠٧ .

وقول الناظم - رحمه الله - :

إلى طبّق الدنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وتُفْتَحُ

قوله : « إلى طبق الدنيا » أي : ينزل الله ﷻ إلى الطباق الأدنى من

السموات؛ لأن السماء سبع طباق ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّى خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح : ١٥] .

فالسماة سبع طباق بعضها فوق بعض ، فينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا كيف يشاء .

« يَمُنُّ بِفَضْلِهِ » أي : على عباده ، فيقول : **« هل من مستغفر فاغفر**

له ، هل من تائب فأتوب عليه » فهذا فضل من الله ﷻ ينادي على

عباده في الثلث الآخر من الليل ، هل من سائل فأعطيه ؟

فكن أخي الحبيب من هؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم ، فيقومون آخر الليل

حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يصلون ويستغفرون ويدعون الله ﷻ ، ولا

تكن من المحرومين الذين يسهرون الليل ، فإذا جاء آخر الليل ناموا

حتى عن صلاة الفريضة .

ويقول الناظم - رحمه الله - : **« فتفرج أبواب السماء وتفتح »** أي :

تنشق وتنتفتح أبواب السماء ، وهذا وقت النزول الإلهي ، لما ثبت من

حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« إذا كان ثلث الليل الباقي**

يهبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا ، ثم تفتح أبواب السماء ، ثم

يبسط يده فيقول : هل من سائل يُعطى سؤاله ؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» (١) .

وفي هذا دليل على أن هذا الوقت من أوقات الإجابة ، فينبغي للمسلم ألا يحرم نفسه هذه الفرصة ، وهذا النداء من الله ﷻ فيستيقظ في هذه الساعة ، ويستغفر ويتوب ويسأل الله عز وجل خيري الدنيا والآخرة ، فإن أبواب السماء مفتوحة له ، فهي والله فرصة عظيمة .

وقول الناظم – رحمه الله - :

يَقُولُ : أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَأَمْنَحُ

« يقول » : أي : الله سبحانه وتعالى عند ما ينزل إلى السماء الدنيا .

وقوله : « ألا مستغفر يلق غافراً » « ألا » : أداة تنبيه، وقيل « ألا » : أداة تحضيض ، والمعنى : انتبهوا لما سيقال ، وفيه حضّ على الاستغفار وطلب المنح والعطاء من الله ﷻ .

وقوله « مستغفر » أي : طالب الغفران .

« يلق غافراً » هو الله ﷻ الغفور الرحيم ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرْ

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

وقوله : « ومستمنح خيراً ورزقاً فأمنح » أي : من يطلب المنح وهو

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٢) .

العطاء من الله ﷺ من خيري الدنيا والآخرة ، سواء كان رزقاً أو خيراً ، أو أي حاجة من حوائجه ، فإن الله يُعطيه في هذا الوقت أكثر من غيره من الأوقات، وهذا معنى قول النبي ﷺ في حديث النزول عن ربه ﷻ ، **« من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له»** (١) .

وقول الناظم - رحمه الله - :

« روى ذاك قومٌ لا يُردُّ حديثهم » أي : روى حديث النزول الإلهي جماعةٌ من الصحابة عن رسول الله ﷺ ، والصحابة كلهم عدول لا يُردُّ حديثهم بل يتلقى بالقبول ، والحديث كما ذكرت قبل ذلك متواتر عن رسول الله ﷺ فلا حيلة فيه للجهمية والمعتلة ليردّوه من ناحية السند ، وقد نص غير واحد من أئمة السلف على أن حديث النزول متواتر منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى شرح حديث النزول (٢) ، وابن القيم - رحمه الله - في «الصواعق المرسلّة» (٣) ، والإمام الذهبي في «العلو» (٤) ، وغيرهم .

وقوله : **« ألا خاب قومٌ كذبوهم وقُبِحوا »** أي : خسر هؤلاء الذين كذبوا حديث النزول ، ونفوا نزول الله عز وجل ، وأولوا حديث رسول

(١) سبق تخريجه .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٧٠/٥ .

(٣) الصواعق المرسلّة ٣٨٧/١ .

(٤) العلو للإمام الذهبي ص ١٠٠ .

الله ﷻ بغير مراد الرسول ﷺ ، وهم الجهمية ومن سار على منهجهم .

* * *

عقيدة أهل السنة في الصحابة ﷺ

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيْرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عَثْمَانُ أَرْجَحُ
 وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ
 وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطَ لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرُخُ
 سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزَّبِيْرُ الْمَمْدَحُ
 وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
 فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

ذكر الناظم - رحمه الله - في هذه الأبيات فضل الصحابة ﷺ وتفاضلهم ومحبتهم .

من هو الصحابي ؟ :

الصحابي هو « من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام»^(١) .

أدلة القرآن على فضل الصحابة :

قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، ت: عادل أحمد وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٥٨/١ ، نخبة الفكر لابن حجر ، ضمن شرحه نزهة النظر، ت: نور الدين عتر ، دار الخير ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، فتح المغيـث للسـخاوي ت د . عبدالكريم الخضير ، د . محمد الفهيد ، دار المنهاج ، الطبعة الأولى ٨/٤ .

خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٢-٧٤] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .
وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ لِّلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] .
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

أدلة السنة على فضل الصحابة – رضي الله عنهم - :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرني ثم

الذين يلونهم» (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير أمتي القرن الذي بُعث فيه » (٢) وهم أصحاب الرسول الله ﷺ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » (٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » (٤) .

وغير ذلك من الأحاديث الثابتة في فضل الصحابة رضي الله عنهم .

فقول الناظم – رحمه الله - :

(١) البخاري باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٢٥٠٩) ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه (٣٤٥١) ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٠٦٥) ، ومسلم في باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣) .

(٢) مسلم باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣) (٢٥٣٤) ، وابن حبان – ذكر الإخبار بظهور السمن في هذه الأمة عند ظهور الكذب وعدم الوفاء فيهم (٦٧٢٩) ، والترمذي ، باب ما جاء في القرن الثالث (٢٢٢٢) ، وأحمد (٧١٢٣) (١٩٩٦٧) ، وأبوداود ، باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ (٤٦٥٧) .

(٣) البخاري ، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٧٠) ، ومسلم ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠) .

(٤) البخاري ، باب الجاسوس وقول الله تعالى : (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) (٢٨٤٥) ، باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن (٢٩١٥) ، باب لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء (٤٦٠٨) ، ومسلم باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٢٤٩٤) .

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

من المعلوم أن هذه الأمة أفضل الأمم ، قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وخير هذه الأمة بعد نبيها

الصحابة ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ؛ لقوله ﷺ : «خير

الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم»^(١) ، ثم إن

المهاجرين أفضل من الأنصار ؛ لأنهم جمعوا بين النصره والهجرة ،

فقد تركوا أوطانهم وأهليهم وأموالهم وهاجروا إلى الله ورسوله ، قال

تعالى في وصف المهاجرين: ﴿ وَيَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

[الحشر: ٨] ، فنص على الهجرة ونص على النصره ، فالمهاجرون ﷺ

أفضل من الأنصار ، وهذا من حيث الجنس . ثم إن أفضل المهاجرين

الخلفاء الأربعة: أبوبكر، وعمر ، وعثمان ، وعلي ﷺ .

وأفضل هؤلاء الأربعة كما قال الناظم – رحمه الله - :

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

أي: قل أيها السني: إن أفضل الناس وأزكاهم بعد محمد ﷺ « وزيراه

قديماً» أي : أبوبكر وعمر – رضي الله عنهما - ، ولا شك أن أفضل

الصحابة – رضي الله عنهم جميعاً – أبوبكر ﷺ فهو أفضل الخلفاء ،

ويدل على ذلك أن الله تعالى لم يصف أحداً من الصحابة بأنه صاحب رسول الله ﷺ إلا أبا بكر ، قال تعالى : ﴿ **إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**

إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

لِصَاحِبِهِ لَا تُخَازِنِ إِيَّائِنَا اللَّهُ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وهذه منقبة عظيمة للصديق ﷺ لم ينلها أحدٌ من الصحابة إلا أبو بكر ﷺ .

ومن مناقبه ﷺ أن الله سبحانه وتعالى أثنى عليه في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا**

يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النور : ٢٢] .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : كان من جملة الخائضين في الإفك « مسطح بن أثاثة » ، وهو قريب لأبي بكر الصديق ﷺ ، وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله ، فحلف أبو بكر ﷺ ، أن لا ينفق عليه ، لقوله الذي قال . فنزلت هذه الآية ، ينهاهم عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه ، ويحثه على العفو والصفح ، ويعده بمغفرة الله ، إن غفر له ، فقال : ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ إذا عاملتم

عبيده بالعفو والصفح عاملكم بذلك ، فقال أبو بكر ﷺ لما سمع هذه الآية : بلى ، و الله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع النفقة إلى مسطح . اهـ (١) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٥٣٦ .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

فقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْتِي أَوْلُوا الْفَضْلِ ﴾ [النور : ٢٢] ، فقد

وصف الله هنا أبا بكر بأنه من أولي الفضل .

ومن مناقب الصديق رضي الله عنه قول النبي ﷺ : « **لو كنت متخذاً من أمتي**

خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته » ^(١) . وقال ﷺ :

« **لا يبقين في المسجد باب ولا خوذة إلا سُدَّتْ إلا باب أبي بكر** » ^(٢) .

وفي الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه : أنه سأل النبي ﷺ

فقال : **أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . فقلت : من الرجال ؟ قال :**

أبوها . فقلت : ثم من ؟ فقال : عمر بن الخطاب » ^(٣) .

ففي الحديث فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ومما يدل على خلاقته أن النبي ﷺ قدّمه إماماً في الصلاة مقامه أيام

مرضه ﷺ ، وقد راجعته عائشة - رضي الله عنها - مراراً وهو يكرر

مراراً عديدة يقول : « **مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس ، مروا أبا بكر**

(١) البخاري ، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٥٦) (٣٤٥٧)

(٣٤٥٨) ، باب ميراث الجد مع الأب والإخوة .. (٦٣٥٧) ، ومسلم ، باب من

فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٣) .

(٢) البخاري ، باب الخوذة والممر في المسجد (٤٥٤ ، ٤٥٥) ، باب مناقب

المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبدالله بن أبي قحافة التيمي رضي الله عنه

(٣٤٥٤) ، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدامها المدينة وبنائه بها (٣٦٩١) ،

ومسلم ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٢) .

(٣) البخاري ، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً (٣٦٦٢) ، وباب غزوة ذات

السلاسل (٤١٠٠) ، ومسلم ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(٢٣٨٤) .

فليصل بالناس، مروأ بكر فليصل بالناس» (١)

وفي الصحيحين من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه - رضي الله عنهما - قال : « أنت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت قال ﷺ : « إن لم تجدني فاتي أبا بكر» (٢) .

وثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه : « ادعي لي أبا بكر وأباك وأخاك حتى كتبت كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل أنا أولى وبأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر » (٣) .

وثبت عنها - رضي الله عنها - أنها سُئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه ؟ قالت : أبوبكر . فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح (٤) .

وأفضل الصحابة بعد أبي بكر ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ، فقد أعزَّ الله

(١) البخاري، باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٦٣٣) ، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٥٠) ، باب من أسمع الناس تكبيرة الإمام (٦٨٠) ، باب إذا بكى الإمام في الصلاة (٦٨٤) ، باب قول الله تعالى : (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) (٣٢٥ ، ٣٢٠٤) باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع كقوله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) (٦٨٧٣) ، ومسلم : باب ائتمام المأموم بالإمام (٤١٨) (٤٢٠) .

(٢) البخاري باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٥٩) ، باب الاستخلاف (٦٧٩٤) ، ومسلم ، باب من فضائل أبي بكر (٢٣٨٦) .

(٣) مسلم ، باب من فضائل أبي بكر (٢٣٨٧) ، صحيح ابن حبان، ذكر إشارة المصطفى ﷺ إلى ما أشار به في أبي بكر رضي الله عنه (٦٥٩٨) .

(٤) مسلم ، باب من فضائل أبي بكر (٢٣٨٥) ، أحمد (٢٤٩٣١) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

ﷺ الإسلام بعمر بن الخطاب ؓ، و فرّق الله تعالى به بين الحق والباطل قبل خلافته وفي خلافته ، وكان الوحي يأتي أحياناً موافقاً لقوله واقتراحه ، وهو أول من تسمى أمير المؤمنين ، ومن مناقبه ﷺ :

عن جابر ؓ قال : قال النبي ﷺ : **« رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ، ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت : لمن هذا ؟ فقال: لعمر ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»** فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار؟^(١).

وعن أبي هريرة ؓ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: **«بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر . فقلت: لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوئيت مدبراً . فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟»**^(٢) .

وعن حمزة بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : **« بينا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الرّي يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن**

(١) البخاري ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٧٦)، ومسلم ، باب من فضائل عمر (٢٣٩٤).

(٢) البخاري باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٠٧٠) ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٧٦) (٣٤٧٧) ، ومسلم ، باب من فضائل عمر (٢٣٩٥) .

الخطاب ﷺ قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : **« العلم »** ^(١) .
 وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« بينا أنا نائم رأيت الناس عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْتَرُهُ »** قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : **« الدين »** ^(٢) .
 وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : استأذن عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ﷺ فلما استأذن عمر بن الخطاب ﷺ قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال النبي ﷺ : **« عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب »** فقال عمر : فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ، فقال عمر : يا عدوات أنفسهن، أتتهبنني ولا تهين رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : **« إيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير**

(١) البخاري باب الحلم من الشيطان وإذا حلم فليصق عن يساره وليستعذ بالله عز وجل (٦٦٠٤) ، ومسلم باب من فضائل عمر (٢٣٩١) .

(٢) البخاري باب الحلم من الشيطان وإذا حلم فليصق عن يساره وليستعذ بالله عز وجل (٦٦٠٦) ، ومسلم باب من فضائل عمر (٢٣٩٠) .

فَجَّكَ» (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالاً يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن من أمتي منهم أحدٌ فعمر**» (٢)

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث – أو وافقتني الله في ثلاث – قلت : يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وقلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب. قلت: وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نساءه قالت: يا عمر ما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله تعالى :

﴿ **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ** ﴾ [التحريم : ٥] (٣)

(١) البخاري باب صفة إبليس وجنوده (٣١٢٠) ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٨٠) ، ومسلم باب من فضائل عمر (٢٣٩٦).

(٢) البخاري باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٨٦) ، ومسلم باب من فضائل عمر (٢٣٩٨) من حديث عائشة .

(٣) البخاري باب قوله : ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ مثابة: يثوبون يرجعون (٤٢١٣) ، باب : قول الله تعالى : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٣٩٣) ، ومسلم باب من فضائل عمر (٢٣٩٩) .

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما - قال: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجداً وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب ﷺ (١) .

وغير ذلك من الأحاديث الثابتة في مناقب الفاروق عمر ﷺ .

ولذلك قال الناظم - رحمه الله - : **« إن خير الناس بعد محمد وزيرا ه قداماً »** فهما وزيراً رسول الله ﷺ ، والوزير هو الذي يعين الملك ويحمل عنه أثقاله ويشير عليه ، فهما كالوزيرين لرسول الله ﷺ منذ بداية الدعوة .

وقول الناظم - رحمه الله - : **« ثم عثمان الأرجح »** : أي : يأتي بعد أبي بكر وعمر عثمان بن عفان ﷺ ذو النورين وثالث الخلفاء الراشدين ، وهو من أول السابقين الأولين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين (هاجر إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة) ، وهو زوج بنتي رسول الله ﷺ (رقية وأم كلثوم) ، وكتب المصحف المسمّى مصحف عثمان .

ومما ثبت في مناقبه ﷺ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن

(١) البخاري ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبوحفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٨٤) .

عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه . فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: **« ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة ! »** (١).

وعن عثمان بن وهب قال : جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا: هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر . قال : يا ابن عمر ، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أُحد ؟ قال : نعم . قال : هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال : ألم تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال : نعم . قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعال أبين لك ، أما فراره يوم أُحد أشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحت بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : **« إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه »** ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : **« هذه يد عثمان »** فضرب بها على يده فقال : **« هذا لعثمان »** فقال له

(١) مسلم ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠١) ، وصحيح ابن حبان ، ذكر تعظيم المصطفى ﷺ عثمان إذ الملائكة كانت تعظمه (٦٩٠٧) ، وأحمد (٥١٤) ، (٢٥٢٥٧) ، (٢٦٠٥٩) ، ومجمع الزوائد (٨٢/٩) .

ابن عمر رضي الله عنهما : اذهب بها الآن معك ^(١) .

وغير ذلك مما ورد في مناقبه ﷺ .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **الأرجح** » : وكأن الناظم يشير إلى خلاف وقع بين السلف في فضل عليّ و عثمان - رضي الله عنهما - أيهما أفضل؟ فقوّم فضّلوا عثمان ، وقوّم فضّلوا علياً ، وقوم توقفوا في التفضل .

والصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة أن عثمان أفضل ؛ بدليل أن أصحاب الشورى قدموا في الخلافة عثمان على علي - رضي الله عنهما - ، أما في الخلافة فهناك إجماع من الأمة على أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر ، ثم لعمر ، ثم لعثمان ، ثم لعلي - رضي الله عنهم أجمعين - .

وقول الناظم - رحمه الله - :

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ خَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحٌ

الناظم في هذا البيت يشير إلى أن رابع الصحابة في الفضل هو علي بن أبي طالب ﷺ ، فهو خير الناس بعد أبي بكر وعمر و عثمان . فهو

(١) البخاري ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه (٣٤٤٥) باب قول الله تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلِيم) (٣٨٣٩) ، والترمذي ، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠٦) ، أحمد (٦٠١١) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته فاطمة ، وهو الذي قاتل الخوارج ، وقضى على فتنهم ، وهو أول من أسلم من الصبيان ، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، فله ﷺ فضائل عظيمة منها على سبيل الذكر لا الحصر .

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ : « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى** » ^(١) أي : في الاستخلاف على المدينة، حيث استخلفه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، والدليل على ذلك ما ثبت من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً ﷺ فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه ليس بنبي بعدي** » ^(٢) .

هذا الاستثناء « **إلا أنه ليس بنبي بعدي** » يزيل الإشكال من رواية إبراهيم بن سعد ، ويخصص عموماً المنزلة بخصوص الإخوة والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيها ^(٣) عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « **لأعطين هذه** »

(١) البخاري، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٥٠٣)، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة (٤١٥٤)، ومسلم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٤) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) مختصر معارج القبول لفضيلة الشيخ مصطفى العدوي ، ١٤٢٩ هـ ، ص ٦٥٠ ، بتصرف بسيط .

الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يُحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله « قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال : **« أين علي بن أبي طالب ؟ »** فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال علي : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال – عليه الصلاة والسلام - : **« انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمُر النعم »** (١) .

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه رضي الله عنهما قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب . فقال : أما ما ذكرت فثلاث قالهن رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حُمُر النعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في مغازيه ، فقال له علي ؑ : يا رسول الله ، خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله ﷺ : **« أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبوة بعدي »** ، وسمعته يقول يوم خيبر : **« لأعطين**

(١) البخاري ، باب فضل من أسلم على يديه رجل (٢٨٤٧) ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه (٣٤٩٨) ، باب غزوة خيبر (٣٩٧٣) ، ومسلم باب من فضائل علي بن أبي طالب ؑ (٢٤٠٦) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

الراية رجلاً يُحب الله ورسوله» قال: فتناولنا لها قال: **« ادعوا علياً »**
فأتيت به أرمداً ، فبصق في عينيه ودفع إليه الراية ليلة فتح الله عليه ، ولما
نزلت هذه الآية **« فَمَنْ تَعَاوَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ »** [آل عمران : ٦١] دعا رسول

الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: **« اللهم هؤلاء أهلي »** (١) .

عن زر رضي الله عنه قال : قال علي رضي الله عنه : **« والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه
لعهد النبي ﷺ إليّ ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق »** (٢) .

والأحاديث الصحاح في فضل علي رضي الله عنه كثيرة جداً ما يغني عن أكاذيب
الرافضة ، وفي حديث محمد بن الحنفية الذي أخرجه البخاري في
صحيحه رداً على الرافضة الذين يزعمون أن علياً أولى بالخلافة من
أبي بكر وعمر ، وأن علياً أفضل من أبي بكر وعمر ، بل وصل بهم
الأمر إلى سب الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين - .

عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي – يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال :
عمر . قال : وخشيت أن يقول عثمان . قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا

(١) مسلم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٤)، صحيح ابن
حبان ، ذكر الخبر المصرح بأن هؤلاء الأربع الذي تقدم ذكرنا لهم أهل بيت
المصطفى ﷺ (٦٩٧٦)، الترمذي باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه
(٣٧٢٤)، باب ومن سورة آل عمران (٢٩٩٩)، أحمد (١٦٠٨) .

(٢) مسلم باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان
وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق (٧٨)، وابن ماجه فضل علي بن أبي
طالب رضي الله عنه (١١٤)، النسائي باب علامة النفاق (٥٠٢٢) .

واحد من المسلمين (١) .

وذكر ابن أبي عاصم في السنة أن علياً بن أبي طالب عليه السلام قال : « لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفتري » (٢) .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **حليف الخير** » أي : المحالف للخير دائماً ، أي : أنه عليه السلام ملازم للخير دائماً .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **بالخير مُنْجَح** » وفي بعض النسخ « **بالخير يمنح** » أي : أنه يعطي الناس ويمنحهم .

وقول الناظم - رحمه الله - :

وإنهم للرّهط لا ريب فيهم على نُجْب الفردوس بالنور تسرخ

بعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم

- ذكر هنا بقية العشرة المشهود لهم بالجنة فقال - رحمه الله - :

« **وإنهم للرّهط** » : الرهط : هم الجماعة دون العشرة ، ويقصد بهم هنا

العشرة المبشرون بالجنة ، فإنهم « **لا ريب فيهم** » أي : لا شك في

منزلتهم عند أهل السنة، ولا شك في أنهم من أهل الجنة ؛ لأن الذي

أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام ، فهم كما قال الناظم - رحمه الله - :

« **على نُجْب الفردوس** » أي : أنهم يسرحون في الجنة على نجب

(١) البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **لو كنت متخذاً خليلاً** » قاله أبو سعيد (٣٤٦٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢١٩) .

الفردوس وهي نوق من الجنة تسرح بهم حيث شاءوا .
ولكن لا بد أن تعلم أخي الحبيب أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحدٍ معين بجنة ولو كان من الصالحين ، ولا يشهدون لأحد بالنار ولو كان من الكافرين ؛ كأن تقول : فلان هذا من أهل الجنة ، أو فلان هذا من أهل النار .

فهذا لا يجوز إلا لمن أطلعه الله على الغيب ، وهو الرسول ﷺ ، ولم يطلعه الله على الغيب كله ، ولكن على شيء من المغيبات ، قال تعالى :

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦١﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن:

٢٦-٢٧] ، ومما أطلع الله رسوله عليه أنه ﷺ شهد لأناس بالجنة ، فحن نشهد أنهم من أهل الجنة ، كالعشرة المبشرين بالجنة من صحابة رسول الله ﷺ ، وثابت بن قيس بن شماس بشره رسول الله ﷺ بالجنة (١) ، فهؤلاء نشهد لهم بالجنة ؛ لأن رسول الله ﷺ شهد لهم بالجنة .

وقد ذكر الناظم - رحمه الله - باقي العشرة - رضي الله عنهم جميعاً - بعد أن ذكر الخلفاء الأربعة فقال :

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير الممدّح

(١) ذكر قصة ثابت بن قيس بن شماس ﷺ بشره النبي ﷺ أنه من أهل الجنة الإمام البخاري في صحيحه باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (٤٥٦٥) ، باب علامات النبوة (٣٤١٧) ، والإمام مسلم في صحيحه باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

أولهم : « سعيد » ، وهو : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، ابن عم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وزوج أخت عمر رضي الله عنهم جميعاً .

عن عبدالرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد فذكر رجل علياً رضي الله عنه فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني سمعته وهو يقول : «عشرة في الجنة ، النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة » ولو شئت لسميت العاشر . قال : فقالوا : من هو ؟ فسكت ، قال : فقالوا : من هو ؟ فقال : **هو سعيد بن زيد** ^(١) .

والثاني : « وسعد » : وهو : سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه ، ومن مناقبه رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن الزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اهدأ ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» ^(٢) وزاد في رواية : « وسعد بن أبي وقاص » ^(٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال :

(١) صحيح ابن حبان ، ذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضوان الله عليهم (٦٩٩٣) ذكر إثبات الجنة لأبي عبيدة بن الجراح (٧٠٠٢) ، الترمذي باب مناقب عبدالرحمن بن عوف (٣٧٤٨) ، أبو داود باب في الخلفاء (٤٦٤٩) .
 (٢) مسلم باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (٢٤١٧) .
 (٣) مسلم باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (٢٤١٧) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

« لیت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة » قالت : وسمعنا صوت السلاح ، فقال رسول الله ﷺ : « من هذا ؟ » قال : « سعد بن أبي وقاص يا رسول الله ، جئت أحرسك . قالت عائشة : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيته^(١) .

والثالث : « وابن عوف » : وهو : عبدالرحمن بن عوف ؓ ، أسلم قديماً بدعوة أبي بكر ؓ ، ولما أسلم سمى نفسه عبدالرحمن ، ومن مناقبه ؓ :

لما هاجر أخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ؓ ، وكان سعد ؓ ذا غنى ، فقال لعبدالرحمن بن عوف : أقاسمك مالي نصفين وأزوجه ، قال عبدالرحمن : « بارك الله لك في أهلك ومالك ، دُلوني على السوق »^(٢) ، فتاجر ، حتى أصبح ذا مال ، وكان من أثرياء الصحابة ؓ وكان من الذين ينفقون في سبيل الله ﷻ الإنفاق الكثير .

(١) البخاري باب قوله ﷺ لیت كذا وكذا (٦٨٠٤) ، ومسلم باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (٢٤١٠) .

(٢) البخاري ، باب ما جاء في قوله الله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) ، وقوله : (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) (١٩٤٤) ، باب تزويج المعسر الذي معه القرآن والإسلام (٤٧٨٥) ، الترمذي باب ما جاء في مواساة الأخ (١٩٣٣) ، وأحمد (١٢٩٩٩) (١٣١٤٥) (١٣٨٩٠) .

الرابع : « وطلحة » : وهو طلحة بن عبيد الله ، وهو من المهاجرين ، وهو من الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، ومن مناقبه :
 في يوم أحد عندما أراد النبي ﷺ أن ينظر إلى المشركين في القتال قال له طلحة بن عبيد الله : « يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تُشرف يصبك سهمٌ من سهام القوم ، نحري دون نحرك » (١) .
 كان يقى النبي ﷺ بيده ، ويتلقى السهام التي يُرمى بها النبي ﷺ حتى شلّت يده ﷺ . عن قيس بن حازم قال : رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلّت (٢) .

الخامس : « وعامر » : وهو : أبو عبيدة ، عامر بن الجراح ﷺ ، أمين هذه الأمة ، و « فهر » من أجداد النبي ﷺ .
 عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح** » (٣) .

وعنه ﷺ : أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام ، قال : فأخذ بيد أبي عبيدة ، فقال : **« هذا**

(١) البخاري باب مناقب زيد بن ثابت رضي الله عنه (٣٦٠٠) ، وباب (إذ همت طانفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٣٨٣٧) ، ومسلم باب غزوة النساء مع الرجال (١٨١١) .
 (٢) البخاري باب مناقب طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه وقال عمر : توفي النبي ﷺ وهو عنه راض (٣٥١٨) .
 (٣) البخاري ، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (٣٥٣٤) ، مسلم ، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح (٢٤١٩) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

أمين هذه الأمة» (١) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء أهل نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ابعث إلينا رجلاً أميناً فقال : « لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقاً أمين حقاً أمين» قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح» (٢) .

السادس : « والزيبر الممدح » : وهو : الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : أنا . ثم قال : من يأتيني بخير القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : أنا . ثم قال : « إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير» (٣) .

(١) مسلم ، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (٢٤١٩) .
 (٢) البخاري ، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (٣٥٣٥) ، باب قصة أهل نجران (٤١٢٠) ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصلاة والصوم والفرائض والأحكام وقول الله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فلو اقتتل رجلان دخل في معنى الآية ، وقوله تعالى : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وكيف بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمراً واحداً بعد واحد فإن سها أحد منهم رد إلى السنة (٦٨٢٧) ، ومسلم ، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (٢٤٢٠) .
 (٣) البخاري ، باب هل يبعث الطبيعة وحده (٢٦٩٢) ، باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وقال ابن عباس : هو حواري النبي صلى الله عليه وسلم وسمي الحواريون لبياض ثيابهم (٣٥١٤) ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ، قال موسى بن عقبة : كانت في شوال سنة أربع (٣٨٨٧) ، ومسلم ، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (٢٤١٥) .

وقول الناظم - رحمه الله - :

وَقَنْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

بعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - العشرة المبشرين بالجنة ، ذكر هنا بقية الصحابة رضي الله عنهم فقال : « **وقل خير قول** » أي : قل أيها المسلم المتمسك بالكتاب والسنة أحسن قول في الصحابة كلهم ؛ لأنهم هم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولحمل دينه ، فهم الذين بلغونا القرآن ، وجاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصبروا على الجهاد ، ولهم جميعاً فضلُ الصَّحبة والمناصرة للرسول صلى الله عليه وسلم ، والتلقي عنه ، فقد رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا به ، واجتمعوا به ، وصلوا خلفه ، وسمعوا قوله صلى الله عليه وسلم فهم يستحقون المدح والثناء . ولا يجوز تنقّص أحد منهم ، كما تفعل الرافضة ، وكما تفعل الخوارج الذين يكفرون الصحابة .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من سب الصحابة أشد التحذير وأمر بالإمساك من القدح فيهم أو الطعن .

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه » (١) .

(١) البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٧٠)، ومسلم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠) (٢٥٤١) .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا** » ^(١) والمراد : إذا ذكروا بغير الحسن والجميل .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت لعروة بن الزبير : « يا ابن أخي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبّوهم » ^(٢) .
وقول الناظم - رحمه الله - :

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

ذكر الناظم - رحمه الله - في هذا البيت الدليل معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم فقال : « **فقد نطق الوحي المبين بفضلهم** » والوحي هو القرآن الكريم ، وكذلك سنة النبي الأمين وحي من الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت طرفاً من هذه الأدلة من القرآن والسنة التي تبين لنا بوضوح فضل هؤلاء الصحب الكرام رضي الله عنهم فالأدلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ومن هذه الأدلة ما أشار إليه الناظم - رحمه الله - بقوله :

« وفي الفتح آي للصحابة تمدح » : ينبه الناظم هنا على كثرة الآيات

في سورة الفتح التي تمدح الصحابة وتبين فضائلهم ومنها :

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ [الفتح : ٤] .

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٣٤) .

(٢) مسلم ، كتاب التفسير (٣٠٢٢) .

وقال تعالى : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [الفتح : ٥] .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ

نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾

[الفتح : ١٠] .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝﴾ [الفتح : ١٨] .

قال تعالى : ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۖ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمِيمَةَ

كَلِمَةَ النَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ [الفتح : ٢٦]

وقال تعالى في آخر السورة : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ ۖ فِي وُجُوهِهِمْ مِن

أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ

فَاسْتَفْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِۦ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح : ٢٩] .

وفي قوله تعالى : (الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) دليل على أن الذي يغتاظ

من الصحابة أو يبغضهم أنه كافر ، بنص هذه الآية التي احتج به بعض السلف ومنهم الإمام مالك رحمته الله على كفر الروافض .

* * *

الإيمان بالقدر

وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دَعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفِيحٌ

هذا البيت ذكره الناظم - رحمه الله - في إثبات الإيمان بالقدر ، وهو الركن السادس من أركان الإيمان ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال النبي ﷺ : **« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره »** (١) .

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة .
والقدر يطلق بمعنى التقدير ، كما إذا قلنا : القدر السابق ، والقدر العام ، والقدر الخاص كما في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو ؓ عن النبي ﷺ قال : **« كتب الله لمقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »** (٢) أي : تقدير الله لمقادير الأشياء .
ويطلق القدر على الشيء المقدر ، وهذا كثير في اللغة العربية ، فالمصدر تارة يطلق ويراد به الفعل ، ويطلق ويراد به المفعول ، مثل

(١) مسلم ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه (٨) (٩) (١٠) من حديث عمر ؓ .
(٢) مسلم ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣) ، الترمذي (٢١٥٦) ، أحمد (٦٥٧٩) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

كلمة الخلق: فالخلق يطلق ويراد به فعل الرب تعالى ، فإن الله تعالى من صفته ومن فعله الخلق ، فهو يخلق وهو الخلاق ، وهو الخالق ويطلق على نفس المفعول فنقول : هذا خلق الله ، كما قال تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقٌ

اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١١] أي : هذا هو المخلوق لله .

كذلك القدر يُطلق ويراد به المقدر ، فإذا حدث الآن حادث للإنسان يقول: هذا قدر، أي : هذا مقدر قد قدره الله ، قال النبي ﷺ : « **وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا. ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل**» (١) .

ومثل القدر القضاء ؛ فإنه يطلق ويراد به الحكم ، وهو فعل الرب تعالى ، ويطلق ويراد به المقضي ، وهو ما قضاه الله وشاءه من المخلوقات ، ولهذا يقول المسلمون فيما يحدث : هذا قضاء وقدر أي : هذا أمر مقضي مقدر ، أي : هذا أمر حكم الله به وقدره (٢) .

قال الله تعالى : ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا** ﴾ [الفرقان : ٢] .

(١) مسلم ، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به

القدر (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة ؓ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك - دار التدمرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ ص ٢٤٥-٢٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

وثبت عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . قال : رب ، وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة** » ، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من مات على غير هذا ليس مني** »^(١) .

وفي المسند والسنن عن ابن الدليمي قال : لقيت أبي بن كعب فقلت : يا أبا المنذر ، إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر ، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي قال : لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه ؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم ، ولو أنفقت جبل أحد ذهباً في سبيل الله – عز وجل – ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . فأتيت حذيفة فقال لي مثل ذلك ، وأتيت ابن مسعود فقال لي مثل ذلك ، وأتيت

(١) أحمد (٢٢٧٥٧) ، وابن أبي شيبة (٣٥٩٢٢) ، والطيالسي (٥٧٧) ، البزار في مسنده (٢٦٨٧) ، الترمذي (٢١٥٥) ، أبو داود باب في القدر (٤٧٠٠) ، وصححه الألباني في المشكاة (٩٤) ، وفي ظلال الجنة (١٠٢) (١٠٧) .

زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك^(١) .

* مراتب القدر :

المرتبة الأولى : مرتبة العلم :

والعلم صفة من الصفات الذاتية لله – عز وجل - ، وعلم الله محيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات؛ فإن الله يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون .

فالله سبحانه وتعالى علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وأعمارهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار ، من قبل أن يخلقهم .

فما من شيء إلا ويعلمه الله ﷻ قال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ

فِي ظُلْمَتٍ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وقال

سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى

(١) صحيح ابن حبان ، ذكر الأخبار عما يجب على المرء من تسليم الأشياء إلى بارئه جل وعلا (٧٢٧)، ابن ماجه، باب في القدر (٧٧)، أحمد (٢١٦٢٩) (٢١٦٥١)، وأبوداود ، باب في القدر (٤٦٩٩)، مجمع الزوائد (١٩٨/٧)، والطبراني في الكبير (٤٩٤٠)، ابن أبي عاصم في السنة (٢٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٤/١٠)، وصححه الألباني في المشكاة (١١٥) .

ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ

مَعَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا ۞ [المجادلة : ٧] ، وقال تعالى : ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۞ [الطلاق : ١٢]

وغير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على علم الله ﷻ الشامل المحيط بكل شيء .

أما أدلة السنة فمنها على سبيل الذكر لا الحصر :

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » (١) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » (٢) .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها** » قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : « **الله أعلم بما كانوا**

(١) البخاري ، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣١٧) (١٣١٨) ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٦٢٢٤) ، ومسلم ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩) .
(٢) سبق تخريجه .

عاملين» (١)

وعن أبي الأسود الدؤلي قال : قال لي عمران بن الحصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قُضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق ، أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ، فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم ، قال : فقال : أفلا يكون ظلماً؟ قال : فزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت : كل شيء خلق الله وملك يده ، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، فقال لي : يرحمك الله تعالى إنني لم أرد بما سألتك إلا حرز عقلك ، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفي شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله جل وعلا

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ [الشمس : ٧-٨] (٢)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً يطول استقصاؤها .

(١) البخاري باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٦٢٢٦)، ومسلم باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨) .
(٢) مسلم، باب كيفية الخلق الادمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٥٠) .

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة :

وهي أن الله كتب مقادير الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ .

أدلة القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ

﴿٥٢﴾ [القمر : ٥٢-٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي

كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا

يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ

[الحديد : ٢٢] .

وغير ذلك الكثير في كتاب الله – عز وجل - .

*** أدلة السنة :**

عن علي عليه السلام قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعد وقعدنا حوله ومعه مخرصة ، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : **«ما منكم من أحدٍ ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة»** قال : فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال: **«أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»**

ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ۝٦ فَنَسِيْرَهُ لِلْعُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ

وَأَسْتَفْتَى ۝٨ وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى ۝٩ فَنَسِيْرَهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾ [الليل : ٥-١٠] (١) .

وقال عليه السلام: **«إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة ، فزنى العين النظر ، وزنى اللسان النطق ، والنفس تمنى**

(١) البخاري، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله (١٢٩٦) ، ومسلم، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧) .

وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه ^(١) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء »** ^(٢) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة »** ، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« من مات على غير هذا ليس مني »** ^(٣) .

المرتبة الثالثة : مرتبة المشيئة :

وهي إثبات مشيئة الله النافذة الماضية وإثبات نفوذ قدرته ومشيئته ، وشمول قدرته ، قال تعالى : **﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ**

فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

(١) البخاري ، باب زنا الجوارح دون الفرج (٥٨٨٩) ، ومسلم ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٢٦٥٧) .
 (٢) مسلم ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣) .
 (٣) سبق تخريجه . وصححه الألباني في الطحاوي (٢٣٢ ، ٢٧١) ، وفي المشكاة (٩٤) ، وفي ظلال الجنة (١٠٢) (١٠٧) .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [هود : ١١٨] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمُ** ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ**

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] .

المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق والإيجاد :

وهي إثبات أن الله سبحانه خالق كل شيء .

قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الرعد : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ١٠١] .

* مذاهب الناس في القدر :

المذهب الأول : مذهب أهل السنة : أن كل شيء بقضاء الله وقدره ،

ومنها أفعال العباد ، فهي مخلوقة لله ، وهي فعل العبد باختياره ومشيئته

؛ لأن العبد له اختيار وله مشيئة ، ولكنه لا يستقل عن الله ، كما تقول

القدرية ، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى . وليس مجبراً كما تقول

الجبرية ، وسيأتي ذلك أيضاً إن شاء الله تعالى ، بل هو يفعل الأشياء

باختياره ومحض إرادته ؛ ولذلك يثاب على فعل الخير ، ويعاقب على فعل الشر ؛ لأنه فعل بإرادته ومشيئته ، ولو كان مجبراً لا يعاقب .

ويقول شيخنا العلامة فضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : « الله – جل وعلا – لا يؤاخذ المجنون الذي ليست له إرادة ، ولا يؤاخذ المكره الذي ليس له اختيار ، ولا يؤاخذ النائم الذي ليس عنده فكر وعقل ، قال ﷺ: « **رفع القلم عن ثلاثة : الصغير حتى يحتلم ، والمجنون حتى**

يفيق ، والنائم حتى يستيقظ»^(١) لماذا؟ لأن هؤلاء ليست لهم إرادة أو مشيئة ، فلا يؤاخذون على ما فعلوا وقت غياب عقولهم وإرادتهم ، أما من كانت عنده إرادة وعنده مشيئة واختيار فإنه يثاب على فعل الطاعات ويعاقب على فعل المعاصي ؛ لأنه فعلها باختياره وإرادته ، والله ﷻ

يقول : « **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** » [البقرة: ٢٧٧]

« **عَمِلُوا** » فأسند العمل إليهم، ويقول: « **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** » [البقرة: ٦]

فأسند الكفر إليهم ؛ لأنه من فعلهم وإرادتهم ، ويقول : « **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ**

(١) صحيح ابن حبان ، ذكر الإخبار عن العلة التي من أجلها إذا عدت رفعت الأقدام عن الناس من كتبه الشيء عليهم (١٤٢) ، وابن ماجه، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم (٢٠٤١) ، والترمذي، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد (١٤٢٣) ، النسائي، باب ما لا يقع طلاقه من الأزواج (٣٤٣٢) ، أحمد (٩٥٦) (١١٨٣) (١٣٢٧) (١٣٦٠) (٢٤٧٣٨) (٢٤٧٤٧) (٢٥١٥٧) ، وأبو داود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً (٤٣٩٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (١١١٤١) ، البيهقي في الكبرى ٢٦٤/٨ ، الحاكم في المستدرک ٢٥٨/١ ، ٥٩/٢ .

وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [الجن : ٢٣] ، فأسند المعصية

إليهم ؛ لأنها من فعلهم .

فهي من ناحية الفعل : أفعال العباد ، ومن ناحية القدر : مُقدرة من الله ﷻ فهي قدر الله وهي فعل العبد ، جمعاً بين النصوص « (١) .

المذهب الثاني : مذهب القدرية :

يقولون : أفعال العباد ليست مخلوقة لله ، أي : أفعال العباد من خير وشر وطاعة ومعصية لم يقدرها الله ولم يشأها ولم يخلقها ، والقدرية قسمان : غلاة ومتوسطون ، فالغلاة أنكروا علم الله وكتابتته ، والمتوسطون أنكروا المشيئة والخلق ، وآمنوا بالعلم والكتابة .

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : فالقدرية الذين نفوا القدر هم المعتزلة ، وقالوا : إن العبد يخلق فعل نفسه ، وإن الأمر أنفٌ : لم يقدره الله ! فأفعال العباد هم الذين يوجدونها استقلالاً ، ليس لله فيها إرادة ولا مشيئة ، لذلك سموا القدرية .

ومعنى هذا : أن العبد يخلق فعل نفسه ، فيكون أثبت خالقين مع الله ! والله هو الخالق – جل وعلا – وما سواه مخلوق . وهم يقولون : الله معه من يخلق ، وهم العباد يخلقون أفعالهم ! وهذا شرك في الربوبية ، ولذلك

(١) شرح المنظومة الحائية لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، دار العاصمة / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ، ص ١٤٤-١٤٥ .

سماهم النبي ﷺ : «مجوس هذه الأمة»^(١) ؛ لأنهم أثبتوا خالقين مع الله ، مثل المجوس ، المجوس قالوا: هذا الكون له خالقان: النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر ، وزاد عليهم القدرية فقالوا : كلُّ يخلق فعل نفسه ، فأثبتوا خالقين متعددين مع الله – جل وعلا – وهذا شرك في توحيد الربوبية اهـ .^(٢)

المذهب الثالث : مذهب الجبرية :

قالوا : العبد ليس له اختيار ولا مشيئة ، وإنما هو مجبور على أفعاله ، وأفعاله واقعة بغير اختياره ، فهو كآلة بيد من يحركها ، وكالريشة في مهب الريح ، وكالميت بين يدي المغسل .
فالجبرية غلوا في إثبات مشيئة الله وإرادته ، حتى نفوا مشيئة العبد وإرادته.

والقدرية : غلوا في إثبات مشيئة العبد وإرادته ، فقالوا: إنه ليستقل عن الله ويخلق ما يريد .

والمذهب الوسط هو مذهب أهل السنة كما بيّنا قبل ذلك .

* من فوائد الإيمان بالقدر :

ذكر شيخنا العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه

(١) أبوداود، باب في القدر (٤٦٩١) ، الطبراني الأوسط ٦٥/٣ ، الحاكم في المستدرک ١٥٩/١ ، مجمع الزوائد ٢٠٥/٧ البيهقي في الكبرى ٢٠٣/١٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) شرح المنظومة الحائية للفوزان ص ١٤٢، ١٤٣ .

الله - في شرحه للعقيدة الواسطية عدة فوائد للإيمان بالقدر منها (١) :

- ١- أنه من تمام الإيمان ، ولا يتم الإيمان إلا بذلك .
- ٢- رد الإنسان أموره إلى ربه ؛ لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره ؛ فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها، ويضيف السراء إلى الله، ويعرف أنها من فضل الله عليه .
- ٣- أنه من تمام الإيمان بالربوبية ؛ لأن قدر الله من أفعاله .
- ٤- أن الإنسان يعرف قدر نفسه ، ولا يفخر إذا فعل الخير .
- ٥- هون المصائب على العبد؛ لأن الإنسان إذا علم أنها من عند الله ، هانت عليه المصيبة .
- ٦- إضافة النعم إلى مُسديها ؛ لأنك إذا لم تؤمن بالقدر ؛ أضفت النعم إلى من باشر الإنعام ، وهذا يوجد كثيراً في الذين يتزلفون إلى الملوك والأمراء والوزراء ، فإذا أصابوا منهم ما يريدون ؛ جعلوا الفضل إليهم ، ونسوا فضل الخالق سبحانه .
- ٧- أن الإنسان يعرف به حكمة الله - عز وجل - ؛ لأنه إذا نظر في هذا الكون وما يحدث فيه من تغييرات باهرة ، عرف بهذا حكمة الله ﷻ ؛ بخلاف من نسي القضاء والقدر فإنه لا يستفيد هذه الفائدة .

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله ، دار الثريا للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ص ٥٤١-٥٤٢ .

*** مسألة : الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر :**

اعلم - رحمني الله وإياك - : أن الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ، ولا ينافي التوكل على الله ﷻ ، بل لا بد للإنسان أن يعمل ولا يتكل على القضاء والقدر ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا باتخاذ الأسباب ، وأمرنا بالعمل ، فانه ﷻ يحاسبنا على أعمالنا ، إن كانت خيراً فخير ، وإن كانت شراً فشر ، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**

خَيْرًا يَرَهُ ۝ **۷** ۝ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ۝ **۸** ۝ [الزلزلة : ۷-۸] ،

وقال ﷻ : **« اعقلها وتوكل »** ^(١) ، فالقدر السابق لا يمنع من العمل ، والأخذ بالأسباب من القدر المكتوب ، ففي الحديث: **« الدواء من القدر ، وقد ينفع بإذن الله تعالى »** ^(٢) .

ففي هذا البيت بين الناظم - رحمه الله - هذا الأصل من أصول الإيمان السنة فقال:

« وبالقدر المقدور » أي: آمن بالقدر الذي قدره الله ﷻ ، وقوله **« أيقن »** أي : لا يكن في قلبك أي شك في قضاء الله وقدره ، بل آمن به واعتقد .

(١) صحيح ابن حبان ، ذكر الإخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول من كرهه ص ٧٣١ ، الترمذي من حديث أنس ، باب في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٧) .
(٢) صحيح الجامع (٩٠٤٣) ، مجمع الزوائد ٨٥/٥ .

فقوله « **فإنه دعامة** » أي : أنه ركن من أركان الإيمان ، وهو الركن السادس ، فوجب الإيمان به .

وقوله : « **عقد الدين** » : العِدُّ بكسر العين وسكون القاف هو القلادة ، فالناظم - رحمه الله - صور هذا الدين كأنه عبارة عن عقد ينتظم أموراً كثيرة ، وله أعمدة ودعائم يقوم عليها بناء هذا الدين ، والإيمان بالقدر هو أحد هذه الأعمدة ، والدعائم التي يقوم عليها هذا البناء حيث إنه الأصل السادس من أصول الإيمان .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **والدين أفبح** » أي واسع ، فالدين واسع وشامل - والله الحمد والمنة - ، فالدين له دعائم وأركان يقوم عليها ، ومنه أعمال كثيرة متنوعة من طاعات وعبادات وأحكام وغير ذلك مما هو معلوم لدينا جميعاً .

الإيمان باليوم الآخر

وَلَا تُنْكِرُنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْخَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنصِّحُ
 وَقَلَّ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًا بِمَانِهِ كَحَبَّةِ حَمَلٍ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَخُ
 وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقَلَّ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوضَّحٌ

هذه الأبيات الأربعة يتحدث فيها الناظم - رحمه الله - عن اليوم الآخر ، والمراد باليوم الآخر : يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء .

وسمي يوم القيامة باليوم الآخر ؛ لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم .

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه ، وبالبعث والنشور والقيام من القبور ، والصور والنفخ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة باليوم الآخر .

وبصورة مجملة يمكننا أن نقول : أن الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر الله به ، وما أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ، بداية من دخول القبر إلى افتراق الناس إلى فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير .

والإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان الستة ، التي جاءت في حديث جبريل المشهور حينما جاء إلى النبي ﷺ وهو بحضرة أصحابه ، فسأله عن الإسلام ، وعن الإيمان ، وعن الإحسان ، وعن الساعة وأماراتها فأجابه النبي ﷺ عن الإيمان بقوله: **« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »** (١).

فذكر النبي ﷺ أركان الإيمان الستة ومنها : الإيمان باليوم الآخر ، والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب ، والإيمان بالغيب هو أحد أركان الإيمان ، بل هو الإيمان ، ومن الإيمان بالغيب الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ، والإيمان بالملائكة والجن والشياطين ، وكذلك الإيمان بما يكون في آخر الزمان مما أخبر عنه النبي ﷺ ، والإيمان بما وقع على الأمم الماضية ، كل ذلك من الإيمان بالغيب ، فيجب الإيمان بها ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ** ﴾ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَيُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْتُونَ ﴾ (٣) [البقرة : ١-٣] .

بدأ الناظم - رحمه الله - هذه الأبيات بقوله : **« ولا تنكرن جهلاً »** أي : لا تنكر الشيء الذي تجهله ، بل الواجب عليك أن تؤمن بكل ما أخبر به الله سبحانه وتعالى ، وبكل ما صح عن النبي ﷺ وإن كنت

(١) سبق تخريجه .

تجهله ولا تتصوره ؛ لأن كلام الله – جل وعلا – ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت : ٤٢] ، وكلام رسوله ﷺ وحي من الله ﷻ ،

قال تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)) النجم : ٣-٤] .

وقوله : « نكيراً ومنكراً » : هذان ملكان من ملائكة الرحمن – جل وعلا – فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول هو عبدالله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله : لا أدري ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض التتمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من

مضجعه ذلك» (١)

فدلّ هذا الحديث على أن المَلَكِينَ الذين يَأْتِيَان المِيت فور دفنه هما : منكر ونكير ، وهذا من أمور الغيب التي تحدث للميت في قبره ويجب الإيمان بها .

فالمكان يَأْتِيَان المِيت في قبره ويجلسانه ويستنطقانه : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ، وقد ثبت ذلك فيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : **« استعيزوا بالله من عذاب القبر »** - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : **« إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : يا أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيء السماء ،**

(١) البخاري، باب الميت يسمع خفق النعال (١٢٧٣)، باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٠٧)، صحيح ابن حبان، ذكر الإخبار عن اسم الملكين الذين يسألان الناس في قبورهم تبتنا الله بتفضله لسؤالهما في ذلك الوقت (٣١١٧)، الترمذي، باب ما جاء في عذاب القبر (١٠٧١)، والنسائي، باب مسألة الكافر (٢٠٥١)، أحمد (١٢٢٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٠٧١) .

فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها ، فلا يمرون يعني بها على ملاً من الملائكة ، إلا قالوا : ما هذا الروح الطيبُ ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون لهم ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى السماء التي تليها ، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : ما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقتُ ، فينادي مناد في السماء : أن صدق عبي ، فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسنُ الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير ، فيقول، أنا عمك الصالح ، فيقول :

ربّ ، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المُسُوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرّق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملام من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يُسمّى بها في الدنيا ، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﴿ لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فتطرح رُوحه طرْحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان

عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام : ٩٣] .

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله - : « وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه ، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم ، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده »^(١) .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُورَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنْتٌ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ

مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ

الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلٌّ مِنَ جَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصِيلَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ [الواقعة : ٨٣-٩٤] .

قال شيخنا فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - : « وهذا أمر مشاهد ؛ يسمع المحتضر يرحب بالقادمين عليه من الملائكة ، و يقول: مرحباً ! وأحياناً يقول : مرحباً ، اجلس هنا . كما ذكره ابن القيم في كتاب الروح .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٦٤ .

وأحياناً يحس بأن هذا الرجل أصيب بشيء مخيف ، فيتغير وجهه عند الموت إذا نزلت عليه ملائكة العذاب ولعياذ بالله . اهـ (١) .

وقال - رحمه الله - : « فالثلاثة أصناف التي في آخر الواقعة ظاهرة في ثبوت عذاب القبر ونعيمه » (٢) .
وغير ذلك من أدلة القرآن الكريم .

أما أدلة السنة النبوية الشريفة فمنها على سبيل الذكر لا الحصر :

ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ؛
أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال : « **إنهما ليعذبان وما يُعذبان في كبير ،
أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي
بالنميمة ، ثم دعا بجريدة فشقها نصفين ، فقال : لعله يخفف عنهما ما
لم يبيسا** » (٣) .

وعن زيد بن ثابت ؓ قال : بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار
على بغلته ونحن معه إذا حادت به فكادت تلقيه فإذا أقبر ستة أو خمسة
أو أربعة فقال : من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل : أنا . قال :

(١) شرح العقيدة الواسطية ، فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ص ٤٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٨٥ .

(٣) البخاري ، كتاب الوضوء باب من الكبائر ألا يستتر من بوله (٢١٥) ، باب بدون ترجمة (٢١٨) ، كتاب الجنائز ، باب الجريد على القبر (١٢٩٥) ، باب عذاب القبر من الغيبة والبول (١٣١٢) ، كتاب الأدب ، باب الغيبة (٥٧٠٥) ، باب النميمة من الكبائر (٥٧٠٨) ، مسلم كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستقراء (٢٩٢) .

فمتى مات هؤلاء ؟ قال : في الإشرak . فقال : « إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال»^(٢) .

عن أبي أيوب قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال : « يهود تُعذب في قبورها »^(٣) .

وغير ذلك من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تُبَيِّن لنا أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، كما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واعلم - رحماني الله وإياك - : أن عذاب القبر إما أن يكون عذاب دائم

(١) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٧) ، صحيح ابن حبان في ذكر الأمر بالاستعاذة بالله جل وعلا من الفتن ما ظهر منها وما بطن (١٠٠٠) ، مجمع الزوائد ، باب السؤال في القبر ٤٧/٣ .

(٢) مسلم ، كتاب المساجد ، باب ما لا يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٨) ، صحيح ابن حبان في ذكر الأمر بالاستعاذة بالله جل وعلا من أربعة أشياء معلومة لمن فرغ من تشهده قبل السلام (١٩٦٧) ، سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، رباب ما يقال في التشهد والصلاة على الميت (٩٠٩) ، مسند الإمام أحمد (٧٢٣٦) ، سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول بعد التشهد ٩٨٣ .

(٣) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٠٩) ، مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٦٩) .

وهو عذاب الكافر، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ مِعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] ، وإما أن

يكون إلى مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، وقد ينقطع عنه العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار .

* الرد على من أنكر عذاب القبر :

اعلم - رحمني الله وإياك - : أن المعتزلة أنكروا عذاب القبر ؛ لأنهم يعتمدون على عقولهم ، ولا يؤمنون بما خالف عقولهم ، فيقولون: نحن لو كشفنا عن الميت وجدناه كما وضعناه ، لا نشاهد عنده ناراً ولا جنة ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق .

وهذا الزعم باطل ، فنقول لهم : لقد دلت نصوص الشرع من القرآن والسنة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه هذا من جهة الشرع ، ولا يجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة ، وكذلك كما

نعلم أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها ﴿الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ، فعذاب القبر ونعيمه ، وسعته وضيقه إنما

يدركها الميت دون غيره ، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان

ضيق أو حسن ، أو في مكان واسع فسيح ، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه ، وقد كان جبريل – عليه السلام – ينزل على النبي ويتمثل له رجلاً ، ويكلمه بكلام يسمعه ، ومن إلى جانب النبي ﷺ لا يراه ولا يسمعه ، وفي غزوة بدر وغيرها من الغزوات الملائكة تضرب رقاب الكفار ، والمسلمون معهم لا يرونهم ، ولا يسمعونهم ، والجن موجودون ولا نراهم ، ويتحدثون ويتكلمون ، ونحن لا نسمعهم فإدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود ، وبالتالي لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ولم يدركوه .

أما ما قاله المعتزلة أن حديث البراء بن عازب رضي الله عنه من أحاديث الآحاد فلا يحتج به في مسألة العقائد .

قال شيخنا فضيلة الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله تعالى : « يجب عن طعن المعتزلة في حدث البراء بأن يقال : إنه وإن كان آحاداً ، فله شواهد يرتقى بها ، ويقال : إن الأخبار تواترت معنى لا لفظاً عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وهي تفيد اليقين ، فتصلح للاحتجاج بها في العقائد ، بل إنه إذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ بأنه يحتج به في العقائد وغيرها ، ولو كان خبر آحاد ، و تقسيم الأخبار إلى قسمين : خبر آحاد ، لا يحتج به في العقائد ، وخبر متواتر يحتج به في العقائد ، فهذا إنما ابتدعه أهل البدع من المعتزلة

وغيرهم . اهـ^(١) .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **ولا الحوض والميزان إنك تنصح** »
أي : ولا تنكرن جهلاً الحوض والميزان .

فبعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - الكلام عن الملكين منكر ونكير في بداية كلامه عن اليوم الآخر ، ذكر الحوض والميزان علماً بأن هناك أموراً أخرى لليوم الآخر تسبق الحوض والميزان لم يذكرها الناظم - رحمه الله - ، حيث إن منظومته مختصرة ، فذكر أول منازل الآخرة وهو القبر وما فيه من سؤال الملكين منكر ونكير ثم ذكر الحوض والميزان .

فاعلم - رحماني الله وإياك - : أن هناك أموراً أخرى تسبق الحوض وهي:

١- البعث والنشور :

البعث في اللغة : هو الإرسال ، وبعثه كمنعه ، لفظاً بمعنى : أرسله .
وشرعاً : إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء ،
والمراد به : المعاد الجسماني ، وهو أن يبعث الله الموتى من القبور ،
بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ، ويعيد الأرواح إليها »^(٢) .

(١) الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية ، لفضيلة الشيخ عبدالعزيز الراجحي

حفظه الله ، دار التوحيد للنشر ، ط. الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠١٦م .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٤/٢٦٠-٢٦١) ، (١٦/٣٥-٣٦) ، (١٧/٢٤٩-٢٥٣) .

والنشور : مرادف البعث .

أدلة القرآن الكريم على البعث والنشور :

قال تعالى : ﴿ فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته

لعلكم تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحييكم ثم

يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ أو كالأذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى

هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو

بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه

وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف

ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء

قدير ﴿ [البقرة : ٢٥٩-٢٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا أءذا كنا عظاما ورفنا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴿٤٩﴾ ﴿

قل كونوا حجارة أو حديدا ﴿٥٠﴾ أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من

يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينضون إليك رؤسهم ويقولون متى هو قل

عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِجُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْظُنُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ [الإسراء : ٤٩-٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف : ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴾ ﴿٦٦﴾ [مريم : ٦٦-٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ﴿٥٥﴾ [طه : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج : ٦، ٧] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون : ١٥-١٦] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (٥١)

قَالُوا يَا بُولَاقًا مِّنْ بَعْثِنَا مِمَّنْ مَّرَقَدْنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ [يس : ٥٣-٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ

﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس : ٧٨-٧٩] .

وغير ذلك من الآيات الدالة على البعث والنشور .

أدلة السنة على البعث والنشور :

الأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جداً منها على سبيل الذكر لا الحصر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقله : لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل ابن آدم يأكله

(١) البخاري ، باب تفسير قوله : (قل هو الله أحد) الإخلاص (٤٦٩٠) .

التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب» (١).

وغير ذلك من أحاديث رسول الله ﷺ الدالة على ثبوت البعث النشور. وقد أنكر المشركون البعث والنشور بعد الموت ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يقسم به على وقوعه وأنه كائن لا محالة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَأَتَيْنَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ / ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس : ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَفَرُوا قُلْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَفَرُوا وَلَٰكِنْ يُعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن / ٧] .

(١) البخاري، باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا زمرأ) (٤٦٥١)، ومسلم باب ما بين النفتين (٢٩٥٥) .

*** الحساب :**

الحساب في اللغة : العدّ .

واصطلاحاً : هو تعريف الله سبحانه الخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم بما قد نسوه (١) .

أدلة القرآن على الحساب :

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ

وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة / ٦] .

قال تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ

يَوَيْلَنَّا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا

عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا

﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿٩﴾ [الانشقاق : ٧-٩] .

(١) درء التعارض ٤/ ١٢٩ ، ٥/ ٢٢٩ .

أما الدليل من سنة المصطفى ﷺ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من نوقش الحساب عُدب** ، فقلت أليس يقول الله: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** ﴿٧﴾ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴿٨﴾ **وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴿٩﴾ » [الانشقاق : ٧-٩] فقال : **إنما ذلك العَرَضُ ، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك** » (١) .
فالآية تثبت جنس الحساب ، والحديث يثبت هلاك من حُوسب ، وأجاب النبي ﷺ أن المراد بالحساب في الآية ، العرض ، وفي الحديث المناقشة ، لا مطلق الحساب .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة**، يقول ربنا عز وجل لملائكته : **انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة**، وإن كان انتقص منها شيئاً قال الله : **انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه** ، ثم تؤخذ الأعمال **على ذلك**» (٢) .

(١) البخاري، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه (١٠٣) ، باب من نوقش الحساب عُدب (٦١٧١) (٦١٧٢) ، مسلم ، باب إثبات الحساب (٢٨٧٦) ، الترمذي، باب ما جاء في العرض (٢٤٢٦) ، باب ومن سورة (إذا السماء انشقت) (٣٣٣٧) ، أحمد (٢٤٢٤٦) .

(٢) سنن ابن ماجه، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة (١٤٢٥) ، النسائي، باب المحاسبة على الصلاة (٤٦٦) ، أبوداود، باب قول النبي ﷺ: كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه (٨٦٤) ، الترمذي، باب ما جاء أن أول =

ففي الحديث أن أول ما يحاسب عنه العبد صلاته .

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول ما يحاسب عليه العبد صلاته ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء » (١) .

واعلم - رحمني الله وإياك - أن من الحساب إجراء القصاص بين العباد، كما ثبت ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» (٢) .

والحساب متفاوت : فمنه الحساب اليسير، ومنه الحساب العسير .

* تطاير الصحف :

الصحف جمع صحيفة ، وهي الكتب التي كتبتها الملائكة وأحصوا فيها ما فعله كل إنسان في حياته الدنيا من الأعمال سواء كانت قولية أو فعلية، قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقِبِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء :

. [١٤-١٣]

قال العلماء : معنى طائره أي : عمله . وقال تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ

= ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (٤١٣)، أحمد (٧٨٨٩) (٩٤٩٠) .

(١) النسائي ، باب تعظيم الدم (٣٩٩١) .
(٢) مسلم ، باب تحريم الظلم (٢٥٨٢)، الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٢٤٢٠) ، أحمد (٧٢٠٣) (٧٩٨٣) (٩٣٢٢) .

يَقْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ [الإسراء : ١١١] ، وقال

تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أقرءوا كِتَابِيَةَ ...﴾ إلى قوله :

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة : ١٩-٢٤] ، وقال

تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ...﴾ إلى قوله : ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ تَرَاهُ جَحِيمٌ صَلْوُهُ

﴿٣١﴾﴾ [الحاقة : ٢٥-٣١] .

* الحوض :

أحاديث الحوض متواترة ، كما ذكر ذلك الحافظ السيوطي - رحمه الله - حيث قال : « ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً منهم الخلفاء الأربعة الراشدون ، وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين^(١) في هذه الأحاديث على سبيل الذكر لا الحصر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « أنزلت عليّ أنفاً سورة

، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

(١) البدور السافرة للسيوطي رحمه الله .

وَأَحَرَّ (٢) إِيَّاكَ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾ [الكوثر : ١-٣] ثم قال: أتدون

ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي – وفي رواية: في الجنة – عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافظاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»^(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردّن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم»^(٣).

(١) مسلم، باب حجة من قال البسمة آية من أول كل سورة سوى براءة (٤٠٠)، النسائي، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم (٩٠٤)، أحمد (١٢٠١٥)، أبو داود، باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٧٨٤)، باب في الحوض (٤٧٤٧).
(٢) البخاري، باب تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) وقال ابن عباس: شانك: عدوك (٤٦٨٠)، باب في الحوض وقول الله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر) (٦٢١٠)، وابن حبان، ذكر الإخبار عن وصف الكوثر الذي أعطاه الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم (٦٤٧١)، ذكر بياض ماء الكوثر وحلاوته الذي وصفناه (٦٤٧٤)، الترمذي، باب ومن سورة الكوثر (٣٣٥٩) (٣٣٦٠)، أحمد (١٢٥٦٤) (١٢٦٩٧).

(٣) البخاري، باب في الحوض وقول الله صلى الله عليه وسلم: (إنا أعطيناك الكوثر) (٦٢١٢) باب ما جاء في قول الله صلى الله عليه وسلم: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الفتن (٦٦٤٣)، ومسلم، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته (٢٢٩٠).

وعن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال : سألتها عن قوله تعالى : **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾** [الكوثر : ١] قالت: **نهر أعطيه نبيكم**

شاطناه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم»^(١) .

عن عقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت ، ثم انصرف على المنبر فقال : **« إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض - ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها »** ^(٢) .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : **« حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً »** ^(٣) .

وهناك أحاديث أخرى كثيرة في إثبات الحوض ، ومع ذلك فقد خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة .

يقول شيخنا العلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله - :

(١) البخاري، باب تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) (٤٦٨١) .
 (٢) البخاري، باب الصلاة على الشهيد (١٢٧٩)، باب الذين استجابوا لله والرسول (٣٨٥٧)، باب في الحوض وقول الله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) (٦٢١٨)، ومسلم ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٢٩٦) .
 (٣) البخاري، باب في الحوض وقول الله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) (٦٢٠٨)، مسلم، باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٢٢٩٢) .

«فكل من خالف في إثباته (أي إثبات الحوض)»^(١) فهو مبتدع وأحرى أن يُطرد عنه»^(٢).

* الميزان :

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان الذي يُنصب يوم القيامة .
أدلة القرآن :

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء :

[٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ

وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [المؤمنون : ١٠٠-١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

(١) ما بين القوسين من قولي للتوضيح .

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ، ص ٤٠٥ ،

﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرَكَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾

نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ [القارعة : ٦-١١] .

وقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف : ١٠٥] .

أما أدلة السنة فمنها على سبيل الذكر لا الحصر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » ^(١) .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله – عز وجل – يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مَدّ البصر ، ثم يقول له : أنتكر من هذا شيئاً . أظلمت كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يا رب ! فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهتُ

(١) البخاري ، باب قول الله تعالى : (ونضع الموازين القسط) وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن وقال مجاهد القسطاس العدل بالرومية ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل وأما القاسط فهو الجائر (٧١٢٤) ، باب فضل التسبيح (٦٠٤٣) ، ومسلم ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

الرجل فيقول : لا يا رب ! فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : أحضروه فيقول : يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفه قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم» (١) .

وعن علي ؓ أن ابن مسعود ؓ صعد شجرة يجتني الكباش ، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه ، فقال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أهد** » (٢) .

عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال : « **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة** » وقال : اقرؤوا ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ۝١٠﴾ [الكهف : ١٠٥] (٣) .

واختلف العلماء في الذي يوزن هل هو العمل أو صاحب العمل أو

(١) صحيح ابن حبان، ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله قد يغفر لمن أحب من عباده ذنوبه بشهادته له ولرسوله ﷺ وإن لم يكن له فضل حسنات يرجو بها تكفير خطاياهم (٢٢٥)، ابن ماجه باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠)، أحمد (٦٩٩٤) .

(٢) صحيح ابن حبان ، ذكر تمثيل المصطفى ﷺ طاعات بن مسعود التي كان بسبيلها من قدميه بأحد في ثقل الميزان يوم القيامة (٧٠٦٩)، أحمد (٣٩٩١)، مجمع الزوائد (٢٨٩/٩) .

(٣) البخاري، باب (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم) الآية (٤٤٥٢)، مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥)، أما قوله : (اقرؤوا .. إلخ ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح : القائل يحتمل أن يكون الصحابي ، أو هو مرفوع من بقية الحديث (الفتح ٣٠٢/٨) .

كتاب العمل ؟

للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال :

القول الأول : قال بعض العلماء أن الذي يوزن هو العمل ، واستدلوا

بقول الله - عز وجل - : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴾ (٧) وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ (٨) [الزلزلة : ٧-٨] ، وبقوله تعالى :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤٧) [الأنبياء : ٤٧] .

القول الثاني : أن الذي يوزن صحائف العمل ، وأن هذه الصحائف

تنقل وتخف بحسب ما فيها من الأعمال ، واستدلوا لهذا بحديث صاحب
البطاقة .

القول الثالث : أن الذي يُوزن هو صاحب العمل ، واستدلوا لهذا بقول

الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَّا ﴾ (١٠٥) [الكهف : ١٠٥] .

والشاهد هنا قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ ﴾ ولم يقل لأعمالهم ولا

لصحائف أعمالهم ، واستدلوا : أيضاً بحديث ابن مسعود الذي ذكرته آنفاً .

والذي يظهر لي من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله ، وصحيفة عمله كل ذلك يوزن ؛ لأن الأحاديث قد وردت بكل من ذلك ، والله تعالى أعلم .

* الصراط والمرور عليه :

من الأمور المتعلقة بيوم القيامة المرور على الصراط ، والناظم - رحمه الله - لم يذكر الصراط والمرور عليه ، حيث إن المنظومة مختصرة .

والصراط : هو الطريق الواسع المستقيم .

والصراط : جسر يوضع على جهنم ، وهو أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، وأشد حرارة من الجمر ، عليه كلاليب تخطف من أمرت بخطفه ، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم : فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كهرولة الراجل ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم ، نسأل الله السلامة والعافية .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجِّنِي

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتْ ﴿٧٢﴾ [مريم : ٧١-٧٢] .

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانَكَمُ

الْيَوْمِ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا

فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم

نكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ

أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَانَكُمْ

النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الحديد : ١٢-١٥] .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال

: على قدر أعمالهم يَمرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ،

ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ،

وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة « (١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً من حديثه الطويل

(١) مختصر معارج القبول ، أبو عبدالله مصطفى بن العدوي ، مكتبة فياض
٤٥٩هـ ، ص ٤٢٩ .

في الرؤية والشفاعة وفيه : « وَيُضْرَب الصراط بين ظهرائي جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلّم سلّم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعدان ، هل رأيتم السعدان؟ هل رأيتم السعدان؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يَعْلَم ما قَدْرُ عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ، أو الموثَّق بعمله ، ومنهم المُخرَدل ، أو المجازى ، أو نحوه ..» الحديث^(١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً وفيه : « ثم يُؤتى بالجرس فيُجعل بين ظهري جهنم » قلنا : يا رسول الله ، وما الجسر؟ قال : « مَدْحُضَةٌ مَزَلَةٌ عَلَيْهِ خَطَائِفُ كَلَالِيبٍ وَحَسَكَةٌ مَفْلُطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرَهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً »^(٢) ... الحديث .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

(١) البخاري، باب فضل السجود (٧٧٣)، باب الصراط جسر جهنم (٦٢٠٤)، باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (٧٠٠٠)، مسلم، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

(٢) البخاري، باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (٧٠٠١)، مسلم، باب معرفة طريقة الرؤية (١٨٣).

رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة ، وتَسْفَعُ النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نَجَّاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين»^(١) ... الحديث .

والأحاديث الواردة في ذكر الصراط كثيرة ، نكتفي بما ذُكر منها ففيه الكفاية .

وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدع والأهواء من الخوارج وغيرهم ممن تابعهم من المعتزلة ، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها ، وذلك لا اعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على الصغيرة ، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة ، وردّوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة .

قال السفاريني - رحمه الله - : « اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة ، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعر ، وأنكر هذا القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من أتباعه ؛ زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره ، وإن أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة ،

(١) مسلم، باب آخر أهل النار خروجاً (١٨٧)، وصحيح ابن حبان ، ذكر البيان بأن الله جل وعلا قد كان يعلم من هذا الرجل أنه لو قدمه مما يريد لطلب غيره (٧٤٣٠)، أحمد (٣٧١٤) (٣٨٩٩) .

وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ

بَالَمِّ﴾ [محمد : ٥] وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ

فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣] ، ومنهم من حمله على الأدلة

الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها وكل هذا باطل وخرافات ؛ لوجوب رد النصوص إلى حقائقها ، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه ، وقد أجاب عليه السلام عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك ^(١) .

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين – رحمه الله - : «وخلاصة ذلك أنه يجب علينا أن نؤمن بأنه يوضع على جهنم صراط ، وهو صراط خطر مخيف يدعو الرسل صلوات الله وسلامه عليهم – أن يسلمهم الله تعالى منه ، وأنه يمر الناس على هذا الصراط على قدر أعمالهم ، وهذا المرور حسب تقبلهم لدين الله في الدنيا ، وأن من الناس من يعبر الصراط ومنهم من يكرس في النار ، ثم يخرجون منها إلى أن يصلوا الجنة . فإذا وصلوا إلى الجنة لم يجدوها مفتوحة الأبواب على خلاف

(١) لوامع الأنوار للسفاريني ١٩٢/٢-١٩٣ .

أهل النار ، فإنهم إذا وصلوا إلى النار فتحت الأبواب ليسوءهم العذاب والعياذ بالله ، أما الجنة فلا تكون مفتوحة الأبواب ، وإنما يوقفون هناك على قنطرة ، وهي الجسر الصغير فيقتص لبعضهم من بعض اقتصاصاً غير الاقتصاص الأول الذي في عرصات القيامة ، فيقتص لبعضهم من بعضهم اقتصاصاً يزيل ما في صدورهم من الغل والحقد ؛ لأن الاقتصاص الذي في عرصات القيامة اقتصاص تؤخذ فيه الحقوق ، وربما يبقى في النفوس ما يبقى ، لكن هذا الأخير اقتصاص للتطهير والتهديب والتنقية حتى يدخلوا الجنة وما في صدورهم من غل .

وبهذا نجمع بين النصوص الواردة بأن هناك اقتصاصين ، الاقتصاص الأول في العرصات ويقصد منه أخذ الحقوق ، وهذا الاقتصاص الأخير والمقصود به التنقية والتطهير من الفعل» (١) .

(١) شرح العقيدة السفارينية ، للعلامة ابن عثيمين ، مدار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، ص ٤٧٦-٤٧٧ .

قال الناظم - رحمه الله - :

وَقَلَّ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنْ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْقَحْمِ تُطْرَخُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبَّةِ حَمَلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

هذان البيتان يبين فيهما الناظم - رحمه الله - مصير العصاة من الموحدين الذين أدخلوا النار بسبب ما عندهم من كبائر دون الشرك ، فهم يعتبرون مؤمنين موحدين ، ولكن إيمانهم وتوحيدهم ناقص ، فهؤلاء لا يخرجون من الإسلام ، فهم تحت مشيئة الله - عز وجل - أي : إن شاء الله غفر لهم ولم يعذبهم ، ودخلوا الجنة من أول وهلة ، وإن شاء الله عذبهم ، ودخلوا النار ، ولكنهم لا يُخلَّدون في النار كما يخلد الكفار والمشركون ، وإنما يُخرجون من النار بعد تعذيبهم وذلك إما بشفاعة الشافعين ، وإما بفضل الله تعالى ، وإما بانتهاء عذابهم فيُخرجون من النار قطعاً ، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، خلافاً للخوارج والمعتزلة .

فالخوارج والمعتزلة يقولون : من دخل النار - ولو من أجل كبيرة - فإنه لا يخرج منها ، ولكن يختلفون في أحكام الدنيا ، فقالت المعتزلة : لا نقول مؤمن ولا نقول كافر ، ولكنه في منزلة بين المنزلتين . وقالت الخوارج : إنه كافر ، وهم جميعاً اتفقوا أنهم في الآخرة - أي العصاة - مخلدون في النار .

أما عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم أي : أهل الكبائر من عصاة

الموحدين الذين أدخلوا النار بسبب كبائرهم يخرجون من النار بعد تعذيبهم، إما بشفاعة الشافعين ، وإما بفضل الله تعالى ، وإما بانتهاء عذابهم كما ذكرت سابقاً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

[النساء : ٤٨] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرّة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة »^(١) .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بعد ما مسّهم منها سفّع، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين »^(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناساً أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذّن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر^(٣) فبثّوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في

(١) البخاري، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٤)، باب قول الله تعالى : (لما خلقت

بيدي) (٦٩٧٥)، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩١) (١٩٣).

(٢) البخاري، باب صفة الجنة والنار وقال أبو سعيد قال النبي ﷺ : « أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت » (٦١٩١).

(٣) ضبائر : أي جماعات .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

حميل السيل» فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية (١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ، وقد ذكرت منها ما فيه كفاية .
 فقول الناظم – رحمه الله - **« وقال يخرج الله العظيم بفضلته »** أي : يخرج الله من النار من دخلها من أهل الكبائر والذنوب من عصاة الموحدين بفضلته ، فأخرجهم من النار إنما هو فضل من الله ﷻ .
 وقوله : **« من النار أجساداً من الفحم »** أي : أن أجسادهم تتفحم من العذاب ، فيعيد الله ﷻ تلك الأجساد ويُعيد فيها الحياة ، ثم يدخلهم الجنة .
 وقوله : **« تطرح »** أي : يلقون على النهر فالجار والمجور في قوله **« على النهر »** متعلق بالفعل المضارع **« تُطرح »** .
 وقوله : **« على النهر في الفردوس تحيا بماته »** : الفردوس اسم من أسماء الجنة ، وهو أعلى الجنة ، ووسط الجنة ، ويجري منه هذا النهر قال رسول الله ﷺ : **« إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »** (٢) .
 وقوله : **« كحبة حمل السيل إذا جاء يطفح »** : في بعض النسخ

(١) مسلم، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٨٥)، صحيح ابن حبان ، ذكر الإخبار بأنهم يعودون بيضاً بعد أن كانوا فحماً يرش أهل الجنة عليهم الماء (١٨٤)، و ابن ماجه ، باب ذكر الشفاعة (٤٣٠٩)، أحمد (١١٠٩٢) (١١١٦٧) (١١١٧٦٣) .

(٢) البخاري، باب درجات المجاهدين في سبيل (٢٦٣٧)، صحيح ابن حبان ، ذكر وصف الدرجات للمجاهدين في سبيل العدد (٤٦١١)، ذكر الأخبار عن وصف درجات الجنان التي أعدها الله جل وعلا لمن أطاعه في حياته (٧٣٩٠)، أحمد (٢٢١٤٠) .

«كحب حميل السيل» ، والمعنى واحد ، وقد جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وفيه : « حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبُثُوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » (١) .

فهؤلاء يأتي بهم جماعات محترقين ، فيلقون في نهر من أنهار الجنة ، فيحيون كما يحيا الحب الذي يحمله السيل ، فالسيل إذا جرى في الأودية يحمل معه البذور ، فيطرحها في الأرض فتنبت ، كذلك يُطرحون في نهر الحياة فتنبت أجسامهم ثم بعد ذلك يدخلون الجنة .
وقوله : « إذا جاء يطفح » أي : إذا جاء ذلك السيل يفيض عليه ثم يستقر في الأرض ، ثم ينبت ويصبح شجراً حياً .

ففي البيتين : إثبات الشفاعة ، وفيهما الرد على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، وفيهما أيضاً : إشارة إلى الجنة ونعيمها والنار وعذابها .

قال الناظم – رحمه الله - :

وإنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلٌّ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

قوله : « وإن رسول الله » فيه : الإيمان برسول الله ﷺ ، والمراد هنا

محمد ﷺ ، وقد دلت الأدلة على وجوب الإيمان به ﷺ قال تعالى : ﴿ **ءَأَمَنَ**

الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وفي حديث جبريل حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال : **« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر... »** الحديث .

ومن الإيمان به ﷺ أن تؤمن بأنه خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، فهو آخر الأنبياء ، ليس بعده إلا قيام الساعة ، قال ﷺ : **« بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، وَأَشَارَ بِأَصْبَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى »** (١) .

ومن الإيمان به الإيمان بعموم رسالته إلى الثقلين الجن والإنس ، ومن الإيمان بأنه أكمل الله به الدين وأتم به النعمة فلا دين إلا ما جاء به .

وقوله : **« للخلق شافع »** فيه إشارة إلى الشفاعة العظمى التي تكون في عرصات يوم القيامة ، وهي الشفاعة في أهل الموقف ، أن يُقضى بينهم ، وتسمى الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود الذي امتن الله به

عليه في قوله : **﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ**

(١) البخاري، باب اللعان (٤٩٩٥)، مسلم، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، باب قرب الساعة (٢٩٥٠) (٢٩٥١) .

﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، وثبت عنه ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » (١) .

وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ حيث يتراجع عنها الأنبياء أولو العزم، ويتقدم لها نبينا ﷺ .

وهناك شفاعتان غير هذه الشفاعة الكبرى وهما :

شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهذه الشفاعة أيضاً خاصة به ﷺ .

أما الشفاعة الثانية : فهي الشفاعة في أهل الكبائر فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، وهذه الشفاعة له ، ولغيره من الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والملائكة، والأفراط .

(١) البخاري، باب الدعاء عند النداء (٥٨٩)، باب (عسى أن يبعثك ربك مقامك محموداً) (٤٤٤٢)، صحيح ابن حبان، ذكر إيجاب الشفاعة في يوم القيامة لمن سأل الله جل وعلا لصفية ﷺ المقام المحمود عند الأذان يسمعه (١٦٨٩)، ابن ماجه ، باب ما يقال إذا أذن المؤذن (٧٢٢)، الترمذي، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء (٢١١)، النسائي، باب الدعاء عند الأذان (٦٨٠)، أحمد (١٤٨٥٩)، وأبوداود، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان (٥٢٩) .

واعلم أخي الحبيب أن الشفاعة عند الله لا تكون إلا بشرطين :

الأول : إذن الله للشافع أن يشفع .

الثاني : رضى الله عن المشفوع .

وهذه هي الشفاعة المثبتة ، قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا

تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] ،

وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وهناك شفاعة منفية وهي نوعان: الشفاعة في الكفار ، قال تعالى :

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر / ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ مَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] . والشفاعة بدون

إذنه سبحانه .

وهناك شفاعة أخرى خاصة به ﷺ وهي شفاعته في عمه أبي طالب ،

مع أن الشفاعة لا تنفع الكفار ، وأبو طالب مات على الكفر ، ولكن نظراً

لأنه حمى النبي ﷺ ودافع عنه وصبر معه على الضيق وهو القائل :

ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبةٍ لرأيتني سمحاً بذاك مبينا

فالنبي لا يشفع في إخراج من النار ؛ لأنه كافر مخلد في النار كغيره

في الكفار، ولكن يشفع في أن يخفف عنه العذاب فحسب .
وقول الناظم « **وقل في عذاب القبر حقّ موضح** » هذا سبق بيانه
عندما تحدثنا حول مسألة عذاب القبر .

* * *

التكفير بالمعصية والتحذير من مذهب الخوارج والمرجئة

ولا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكَلِّهُمُ يَعِصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
ولا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرِيدِي وَيَفْضَحُ
ولا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرَحُ

بدأ الناظم - رحمه الله - هذه الأبيات ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، فإنهم على الحق والاعتدال ، لا يكفرون صاحب الكبيرة خلافاً للخوارج ولا يقولون : إنه كامل الإيمان خلافاً للمرجئة ، بل يقولون مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته، وهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه ، وإن عُدب لا يخلد في النار، وهذه العقيدة الحق بخلاف عقيدة الخوارج والمعتزلة والمرجئة.

فالخوارج يكفرون بالكبائر التي دون الشرك ، ويخلدون أصحابها في النار ، ويستدلون بنصوص الوعيد على الذنوب والمعاصي ، ويحملونها على كفر أصحابها .

والمعتزلة يقولون : إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن ، بل هو في منزلة بين المنزلتين .

والناظم - رحمه الله - بدأ بالقول الحق وهو قول أهل السنة والجماعة فقال : «ولا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا» أي : لا تعتقد

كفر أهل الصلاة وإن عصوا ، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ حيث قال: **« من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا »**^(١) ، وقوله: **« أهل الصلاة »** فيه إشارة إلى كفر تارك الصلاة ، قال تعالى: **« فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ**

فِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » [التوبة : ١١] ، وقال

سبحانه مخبراً عن أصحاب الجحيم: **« مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ »**^(٤٢) **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ**

الْمُصَلِّينَ »^(٤٣) [المدثر : ٤٢-٤٣] .

فبين سبحانه أنه من الأسباب التي أدخلتهم النار : أنهم لم يكونوا من المصلين .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **« بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »**^(٢) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« العهد الذي بيننا**

وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »^(٣) .

(١) البخاري، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه قاله أبوحميد عن النبي ﷺ (٣٨٥) .

(٢) رواه مسلم، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٢) .

(٣) ابن ماجه، باب ما جاء في من ترك الصلاة (١٠٧٩) ، الترمذي، باب ما جاء في ترك الصلاة (٢٦٢١) ، النسائي، باب الحكم في تارك الصلاة (٤٦٣) ، صحيح الجامع (٤١٤٣) .

تيسير رب البرية شرح المنظومة الحائية

وعن عبدالله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة^(١) .

وهناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ذكرها أهل العلم في كتبهم تدل دلالة واضحة على كفر تارك الصلاة كفراً أكبر .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **وإن عصوا** » أي : لا تكفر أهل القبلة من المؤمنين والمسلمين ما دامت معصيتهم دون الكفر والشرك ، وهذا يشمل الكبائر والصغائر ، فكل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوابون^(٢) .

وقول الناظم - رحمه الله - : « **وذو العرش يصفح** » أي : يغفر ، قال تعالى : ﴿ **وَيَعْفُرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ**

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

قوله - رحمه الله - : « **وذو العرش** » من باب إضافة المخلوق إلى الخالق ، وهذه الإضافة تقتضي التشريف والتكريم .

(١) الترمذي ، باب ما جاء في ترك الصلاة (٢٦٢٢) .
 (٢) كما ثبت ذلك من حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٤٩٩) ، وابن ماجه ٤٢٥١ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٢٠/٥ من حديث أنس رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٩) .

والعرش هو أعلى المخلوقات وأعظمها، وقد وصفه الله أنه عظيم ،
قال تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النحل : ٢٦] ،

ووصفه أنه كريم قال تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (١١٦)
[المؤمنون : ١١٦] ، وعرش الرحمن له قوائم^(١) ، وله حملة من

الملائكة قال تعالى : ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾
[الحاقة : ١٧] ، فيجب الإيمان بوجود العرش ، وبأنه عرش حقيقي

عظيم كريم مجيد كما بينت سابقاً ، ونؤمن بأن الله مستوٍ على عرشه
استواءً يليق بذاته سبحانه، فاستواء الله على عرشه ليس كاستواء
المخلوق بل استواء يليق بذاته سبحانه، ولما سُئل مالك - رحمه الله -
عن استواء الله قال : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول ، والإيمان به
واجب ، والسؤال عنه بدعة »^(٢) .

وبعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - قول أهل السنة والجماعة في هذه
مرتكب الكبيرة وهو القول الحق انتقل إلى ذكر قولين باطلين في هذه

(١) قال ﷺ : « لا تخيروا بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون
أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش »
الحديث رواه البخاري (٢٢٨١) (٣٢١٧) (٤٣٦٢) (٦٥١٩) (٦٩٩١) ، صحيح
ابن حبان (٧٣١١) ، ابن ماجه (٤٢٧٤) ، الترمذي (٣٢٤٥) ، أحمد (٩٨٢٠) .
(٢) روي هذا الأثر عن أم سلمة رضي الله عنها ولا يصح عنها . وثبت عن الإمام
ربيعة بن أبي عبدالرحمن ، والإمام مالك رحمهم الله تعالى .

المسألة ، فقال - رحمه الله - : **« ولا تعتقد رأي الخوارج »** أي : لا تؤمن ولا تدن **« رأي الخوارج »** ، الخوارج فرقة من فرق الضلال ، يكفرون بالكبائر التي دون الشرك ويخلدون أصحابها في النار ، وخرجوا عن طاعة ولاة الأمور ، وأول ما خرجوا خرجوا على عليّ بن أبي طالب ﷺ وكفروه وناصبوه العداة .

فالناظم - رحمه الله - يحذّر من رأي الخوارج عموماً ، ومن رأيهم في مرتكب الكبيرة بصفة خاصة ، بأن مذهبهم في مرتكب الكبيرة أنهم يكفرون بالكبائر التي دون الشرك ويخلدون أصحابها في النار .

والمعتزلة قالوا بقول الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة أنه مخلد في النار إلا أنهم قالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين . أي : ليس بكافر ولا مؤمن .

وقول الناظم - رحمه الله - : **« إنه مقال لمن يهواه يُردي ويفضح »** أي : يحبّه ويهواه وذلك اتباعاً للهوى ، فهذا القول : أي قول الخوارج يُهلك من قال به ، وكذلك يفضح ويخزي قائله .

ثم انتقل الناظم - رحمه الله - إلى قول المرجئة الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ، فالكبائر عندهم لا تضر الإيمان ولا تنتقصه فهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهذا القول على نقيض قول الخوارج ، وسُمو المرجئة من الإرجاء ، وهو التأخير ؛ لأنهم أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان ، ولذلك

قال الناظم - رحمه الله - : « **ولا تك مرجياً لعوباً بدينه** » ؛ لأن هذا المذهب مذهب الإرجاء تلاعب بدين الله - عز وجل - فالعبد عندهم مؤمن ولو لم يعمل شيئاً من الأعمال الصالحة ، ولو ترك الأركان الأربع : الصلاة والصيام والزكاة والحج ، حتى ولو فعل كل المحرمات . وهذا مذهب باطل يفرح به الفسّاق وأصحاب المعاصي ؛ لأنه يصلح لهم ، فهو موافق لأهوائهم ، ولذلك قال الناظم - رحمه الله - « **ألا إنما المرجي بالدين يمرح** » .

* * *

تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفَعَلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحٌ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ

ذكر الناظم - رحمه الله - في هذين البيتين عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان فقال - رحمه الله - :

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفَعَلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحٌ
فالإيمان عند السلف : قول وعمل واعتقاد .

وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من السلف ، منهم على سبيل الذكر لا الحصر :

* الإمام الشافعي - رحمه الله - : كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر (١) .

* الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله - قال: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً (٢) .

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٩٥٧/٥ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٢٣٨/٩ .

* الحافظ ابن كثير - رحمه الله - قال : فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً ، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغيرهم إجماعاً : أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص^(١) .

* الإمام البخاري - رحمه الله - قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار ، فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قولٌ وعمل ، يزيد وينقص^(٢) .

وغير ذلك ممن نقل الإجماع على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة كما ذكره الناظم - رحمه الله - قول وعمل واعتقاد .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « وها هنا أصل آخر : وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح^(٣) .

ومما يدل على أن الإيمان قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالجوارح : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٥٩/١ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤٧/١ .

(٣) الصلاة وحكم تاركها ص ٤٥ .

بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى
عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (١)

فقول (لا إله إلا الله) : هذا قول اللسان .

« وإمطة الأذى عن الطريق » هذا من أعمال الجوارح .

« والحياء شعبة من الإيمان » : هذا من أعمال القلوب فدل الحديث

على أن الإيمان : قول وعمل واعتقاد .

فليس الإيمان بالقلب فحسب كما ذهب إلى ذلك الأشاعرة ، وليس
الإيمان مجرد النطق باللسان فحسب كما تقول الكرامية ، وليس الإيمان
مجرد المعرفة بالقلب كما تقول الجهمية ، وكذلك ليس الإيمان كما تقول
مرجئة الفقهاء : الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب ، فلو كان
الإيمان كذلك فلم الأوامر والنواهي ؟ فهل يكفي أن يعتقد الإنسان بقلبه
وينطق بلسانه ولو لم يُصَلِّ ولم يصم ؟ فهذا مذهب باطل ؛ لأنه يُعْطَل
الأعمال كلها .

فالقول الحق كما بينت سابقاً أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد
وينقص ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

فقول الناظم — رحمه الله - :

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ

(١) البخاري، باب أمور الإيمان (٩)، مسلم، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها
وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (٣٥) .

يقرر الناظم - رحمه الله - في هذا البيت إن الإيمان يزيد وينقص ،
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

أما الزيادة فمصرح بها في القرآن الكريم في ستة مواضع .

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَاشَوْهُمْ فَأَزَادَهُمْ

إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ [الأنفال / ٢] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ [التوبة : ١٢٤] .

وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ [الفتح : ٤] .

وقال تعالى: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَبَرَدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا﴾ [المدرثر: ٣١] .

فقد دلّ القرآن على زيادة الإيمان صراحة، ودل على نقصانه تضمناً، إذ ما من شيء يزيد إلا وهو ينقص .

وأما السنة : فقد جاء التصريح فيها بنقصان الإيمان ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلّى فمرّ على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقنّ فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلن : وبم يا رسول الله ؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال : «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ » قلن : بلى . قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم ؟ » قلن : بلى . قال : « فذلك من نقصان دينها » (١) .

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان» (٢)

(١) البخاري، باب ترك الحائض الصوم (٢٩٨) ، باب الزكاة على الأقارب (١٣٩٣) ، ومسلم، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكافر بالله ككفر النعمة والحقوق (٧٩) .

(٢) البخاري، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب (٤٩) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فدل هذا الحديث على أن الإيمان يضعف ، فالذي لا ينكر المنكر لا بيده ولا بلسانه وهو يقدر هذا ضعيف الإيمان .

وفي الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يُخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان** »^(١) وهذا دليل على أن الإيمان يضعف حتى يكون بقدر وزن حبة الخردل أو أدنى من ذلك .

أما قول المرجئة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ؛ لأن الإيمان بالقلب ، وهو شيء واحد والناس لا يتفاوتون في الإيمان ، فهذا كلام باطل ؛ لأن المؤمنين منهم من هو أقوى إيماناً من الآخر ، قال ﷺ : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير** »^(٢) .

* * *

(١) البخاري، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٠٧٢) ومسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣) .
 (٢) مسلم ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤) ، ابن ماجه، باب في القدر (٧٩)، باب التوكل واليقين (٤١٦٨)، أحمد (٨٧٧٧) .

تقديم قول الله وقول رسوله ﷺ على كل قول

وَدَعُ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

مما لا ريب فيه أن الخلاف واقع بين العلماء في المسائل ، فمن العلماء من يقول في مسألة ما : هذا حلال ، وآخر يقول هذا حرام ، وهكذا يكون الخلاف بين العلماء ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ [هود : ١١٨-١١٩] ولكن هل يجوز

لنا أن نأخذ من الأقوال ما يوافق رغباتنا وشهواتنا ، أم نأخذ منها ما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة ؟

مما لا شك فيه أن نأخذ من الأقوال ما قام عليه الدليل من الكتاب

والسنة، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

فَإِن نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء : ٥٩] ، فالشاهد هنا قول الله تعالى :

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴿٥٩﴾ أي : إلى كتابه وهو القرآن الكريم ، (وَالرَّسُولِ) أي : يرجع

إلى رسول الله في حياته – عليه الصلاة والسلام - ، أما بعد موته

فيرجع إلى سنته ، وهذا هو ما أراده الناظم - رحمه الله - حيث قال :
« ودع عنك آراء الرجال وقولهم » أي : لا تبين دينك وعقيدتك على
 آراء الرجال بل ابنها على القرآن والسنة ففيهما الفلاح والنجاة في الدنيا
 والآخرة ، وهذا ما كان عليه سلف الأمة - رضي الله عنهم جميعاً - .
 قال عمر رضي الله عنه : « إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء الدين ، أعيتهم
 السنة أن يحفظوها فأعملوا عقولهم » ^(١) .
 وقال علي رضي الله عنه : « لو كان الدين يؤخذ بالرأي لكان مسح باطن الخف
 أولى من مسح ظاهره » .
 والإمام مالك - رحمه الله - يقول : « كنا رأدًا ومردود عليه ، إلا
 صاحب هذا القبر » ^(٢) أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 والإمام الشافعي - رحمه الله - يقول : « إذا صح الحديث فهو
 مذهبي » .
 ويقول : « إذا خالف قولِي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض
 الحائط ، وخذوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
 وقول الناظم - رحمه الله - : **« فقول رسول الله أزكى وأشرح »** أي :
 إذا جاء القول عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه واجب الاتباع إن صح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) رواه الدارقطني في سننه ، كتاب النوادر (ص ١٢) .
 (٢) الأحكام لابن حزم (٣١٧/٦) ، منهاج السنة النبوية (٥٠٣/٣) ، البداية والنهاية
 (١٤٠/١٤) ، وأعلام الموقعين (٢٨٤/٣) ، (٢٨٥) .

« أزمى » أي : أظهر وأنقى .

« أشرح » أي : أشرح للصدر والفؤاد والقلب وأدعى للطمأنينة .

* * *

التحذير من القدح في أهل الحديث

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحَ

قول الناظم - رحمه الله - : « وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوْا بِدِينِهِمْ » أي : لا تتخذ الدين مهزلة وملعبة ، كما هو حال كثير من الناس في زماننا هذا اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا

وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الأعراف: ٥١] .

وقوله : « فتطعن في أهل الحديث وتقدح » : هنا يحذر الناظم - رحمه الله - من الطعن والقدح في أهل الحديث ، وهم أهل الرواية الذين اعتنوا بسنة رسول الله ﷺ فحافظوا عليها ، وبينوا الصحيح منها والضعيف والموضوع ، فالذي يطعن في أهل الحديث لا شك أنه يطعن في سنة النبي ﷺ فكن على حذرٍ .

* * *

أهمية الاعتقاد الصحيح وفضله في الدنيا والآخرة

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيُّتُ وَتُصْبِحُ

ختم الناظم - رحمه الله - منظومته هذه التي بين فيها عقيدة أهل السنة والجماعة بهذا البيت فيقول : إذا اعتقدت ما جاء في هذه المنظومة كل حياتك ، أو عند خاتمة حياتك فأنت على خير ، وأنت على عقيدة سليمة ليالك ونهارك .

* * *

جزى الله الناظم خير الجزاء ، والله أسأل أن يرحمه وسائر علماء المسلمين ، والله تعالى أعلم .
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

إسناد المنظومة الحائية في الاعتقاد لأبي بكر بن أبي داود

قال العبد الفقير إلى ربه عصام بن عبد ربه محمد مشاهيت:
أخبرنا الشيخ المحدث العلامة المسند ، الطبيب ، أمير جمعية أهل
الحديث بولاية هريانه بالهند ، الشيخ محمد إسرائيل بن محمد إبراهيم
السلفي الندوي : أنبأنا عبد الحكيم الجيوري ، عن نذير حسين ، عن
محمد إسحاق الدهلوي ، عن جده لأمه الشاه عبد العزيز ، عن والده
الشاه ولي الله الدهلوي ، عن التاج محمد القلعي ، عن الشمس البابلي،
عن محمد بن أحمد الرملي ، عن زكريا الأنصاري ، عن الحافظ
النجم عمر بن فهد ، أخبرنا علي بن حسين بن عروة ، عن يحيى بن
يوسف الرحبي (إجازة إن لم يكن سماعا) ، عن الحافظ الذهبي كذلك
، قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد ، قال : أنشدنا الإمام
أبو محمد بن قدامة سنة ثمان عشرة وستمائة ، أخبرتنا فاطمة بنت
علي الوقياتي ، أخبرنا علي بن بيان ، أخبرنا الحسين بن علي
الطنجيري ، حدثنا أبو حفص بن شاهين ، أنشدنا أبو بكر بن أبي
داود لنفسه . (ح)

و زكريا عن الحافظ ابن حجر ، عن أبي بكر بن إبراهيم بن قدامة
الصالحى الفرائضى، عن أحمد وعبد الرحمن ابني العز إبراهيم بن

أبي عمر ، ومحمد بن أبي بكر بن طرخان. أخبرنا أحمد بن عبد الدائم
المقدسي - سماعا للأول وحضورا في الرابعة للآخرين - ، أخبرنا
أبو الفرج عبد المنعم بن كليب الحراني ، أخبرنا علي بن أحمد بن
بيان الرزاز ، به .

* * *

المراجع

- ١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، ط. الثانية ١٤٢٧هـ .
- ٢- الإصابة إلى معرفة الصحابة لابن حجر ، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، ط. الأولى .
- ٣- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، الطبعة الأولى ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢١هـ .
- ٤- الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي .
- ٥- الترغيب والترهيب ، عبدالعزيز بن عبد القوي المنذري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، تحقيق إبراهيم شمس الدين .
- ٦- تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد والهادي إلى سبيل الرشاد، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مدار الوطن ط. عام ١٤٢٣هـ .
- ٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
- ٨- تفسير القرآن الكريم ، جزء عم ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين

- رحمه الله ، دار الثريا للنشر ، ط. الثالثة ١٤٢٤ هـ .
- ٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، دار ابن حزم ، ط. الأولى ١٤٢٤ هـ .
- ١٠- زبدة التفسير ، د. محمد سليمان الأشقر ، دار النفائس ، دار التدمرية، ط. الخامسة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- ١١- السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله ، ط. المكتب الإسلامي .
- ١٢- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبيد الله محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .
- ١٣- سنن أبي داود ، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار الفكر ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
- ١٤- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون .
- ١٥- سنن النسائي ، للحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي ابن سنان بن دينار النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ط. الثالثة ١٤٠٦ هـ ، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة .
- ١٦- شرح الدرر المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية ، فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان ، ط. الأولى ١٤٢٥ هـ ، اعنتى بإخراجه ، وطبعه عبدالسلام عبدالله السليمان .

- ١٧- شرح العقيدة السفارينية ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، مدار الوطن ، ط. الأولى ١٤٢٦ هـ .
- ١٨- شرح العقيدة الطحاوية ، لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية ، ط. الأولى ١٤٢٩ هـ .
- ١٩- شرح المنظومة الحائية للدكتور الشيخ صالح الفوزان ، دار العاصمة ، ط. الأولى ١٤٢٨ هـ .
- ٢٠- شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي،
- ٢١- الشريعة ، للأجري .
- ٢٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٤ هـ ط. الثانية ، تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ٢٣- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق ، الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ .
- ٢٤- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت، ط الثالثة / ١٤٠٧ هـ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
- ٢٥- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للألباني رحمه الله ، المكتب الإسلامي .
- ٢٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني ،

- المكتب الإسلامي ط. الثالثة ١٤٠٨ هـ .
- ٢٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري
النيسابوري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي .
- ٢٨- الصواعق المرسلّة ، لابن القيم رحمه الله ، دار العاصمة .
- ٢٩- العلو ، للإمام الذهبي ، طبعة دار أضواء السلف .
- ٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر
العسقلاني ، دار طيبة ، ط. الثانية ١٤٢٩ هـ .
- ٣١- فتح المغيـث للسـخاوي ، تحقيق د. محمد الفهيد ، دار المنهاج ،
ط. الأولى .
- ٣٢- فقه الأسماء الحسنى ، د. عبدالرزاق البدر ، دار التوحيد للنشر ،
ط. الأولى ١٤٢٩ هـ .
- ٣٣- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لابن قدامة المقدسي ،
شرح فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ،
دار أضواء السلف ، ط. الثالثة ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م .
- ٣٤- مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ،
و دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧ هـ .
- ٣٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .
- ٣٦- مختصر معارج القبول ، فضيلة الشيخ مصطفى العدوي ، مكتبة

فياض، ط. ١٤٢٩ هـ .

- ٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة، مصر .
- ٣٨- المصباح المنير في تهذيب ابن كثير ، دار السلام للنشر والتوزيع ، ط. الثانية / ٢٠٠٠ م .
- ٣٩- الموافقات في أصول الفقه ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تحقيق عبدالله دراز ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٤٠- موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس ، دار إحياء التراث العربي ، مصر، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .
- ٤١- نخبة الفكر لابن حجر ، ضمن شرحه نزهة النظر ، تحقيق نورالدين عتر ، دار الخير ، ط. الأولى .
- ٤٢- الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية ، فضيلة الشيخ عبدالعزيز الراجحي ، دار التوحيد للنشر ، الرياض ، ط. الأولى ١٤٣٠ هـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور/ محمود عبد العزيز يوسف
٦	مقدمة
٨	متن المنظومة الحائية
١٠	ترجمة الناظم ابن أبي داود رحمه الله
١٤	التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة البدع
١٨	تعريف البدعة لغة وشرعاً
٢٤	عقيدة السلف في كلام الله والرد على المخالفين
٢٥	مذهب الاتحادية
٢٦	مذهب الفلاسفة وأتباعهم
٢٧	مذهب السالمية
٢٩	مذهب الكلابية
٣١	مذهب الأشاعرة
٣٢	مذهب الكرامية
٣٤	مذهب الجهمية والمعتزلة
٣٤	مذهب أهل السنة والجماعة
٣٩	* رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
٣٩	- أدلة القرآن الكريم
٤٣	- أدلة السنة

الصفحة	الموضوع
٥٢	- إنكار الجهمية لصفة اليدين لله - عز وجل -
٥٧	- مسألة : وردت صفة اليدين على ثلاثة أوجه
٥٨	* إثبات صفة النزول لله عز وجل
٥٩	الأدلة
٦٠	الرد على المخالفين لعقيدة أهل السنة في صفة النزول
٧١	* عقيدة أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم
٧١	- من هو الصحابي ؟
٧١	- أدلة القرآن على فضل الصحابي
٧١	- أدلة السنة على فضل الصحابي
٩٧	* الإيمان بالقدر
١٠٠	مراتب القدر
١٠٦	مذاهب الناس في القدر
١٠٩	من فوائد الإيمان بالقدر
١١١	مسألة : الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر
١١٣	* الإيمان باليوم الآخر
١١٩	أدلة القرآن التي تثبت عذاب القبر ونعيمه
١٢١	أدلة السنة التي تثبت عذاب القبر ونعيمه
١٢٣	الرد على من أنكر عذاب القبر
١٢٥	البعث والنشور
١٢٦	أدلة القرآن

الصفحة	الموضوع
١٢٨	أدلة السنة
١٣٠	الحساب
١٣٢	تطابير الصحف
١٣٣	الحوض
١٣٦	الميزان
١٤٠	الصراط والمرور عليه
١٥٤	التكفير بالمعصية والتحذير من مذهب الخوارج والمرجئة
١٦٠	تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة
١٦٦	تقديم قول الله وقول رسوله ﷺ على كل قول
١٦٩	التحذير من القدر في أهل الحديث
١٧٠	أهمية الاعتقاد الصحيح وفضله في الدنيا والآخرة
١٧١	اسناد المنظومة الحائية في الاعتقاد
١٧٣	المراجع
١٧٨	فهرس الموضوعات